السبت 22 أيار 2021
العدد 4346 السنة الخامسة عشرة
Samedi 22 Mai 2021 nº 4346 15ème année

24 صفحة
2000 ليرة

الأخبار
al-akhbar

www.al-akhbar.com

كلمات

لن نموت،
ولكننا سنقتلع
الموت من أرضنا

الزهن الجهيل

[9ـ2]

(أ ف ب)

على الغلاف | فلسطين تحطم الأسوار

غزة تحتفي بنصرها: إن عُدتم عُدنا

غزة ــ **رجب المدهون**

على عجل، أرسلت القاهرة، أمس، وفدها الأمني إلى غزة وتل ابيب، لبُجري فيه لقاءات مكّوكية تستهدف تثبيت التهدئة بين المقاومة الفلسطينية ودولة الاحتلال، وتلافي كسر حالة الهدوء الهشّ، في وقت تواصلت فيه الاحتفالات في مختلف المناطق الفلسطينية، تزامناً مع ارتفاع وتيرة الاتهامات البينية والاعتراف بالفشل على ضفّة الاحتلال. وبحسب مصدر في حركة «حماس»، تحدّث إلى «الأخبار»، فقد وصل الوفد الأمني المصري إلى مدينة غزة، والتقى قيادة الحركة، وتباحث معها في تنفيذ وقف إطلاق النار بشكل كامل، بالإضافة إلى الملفّات التي ترى المقاومة الفلسطينية أنها ستعيد تفجير الأوضاع، وستدفعها للعودة إلى المواجهة، وخاصة في ما يتعلّق بمدينة القدس وحيّ الشيخ جراح. وضمّ الوفد المصري، لأوّل مرّة، مسؤولاً من رئاسة الجمهورية، بتكليف من الرئيس عبد الفتاح السيسي، إلى جانب أحمد عبد الخالق، مسؤول ملفّ فلسطين في جهاز المخابرات العامّة، وهو ما ترى فيه الفصائل إشارة إلى جدّية كبيرة من قِبَل المصريين، بالإضافة إلى الموقف الإيجابي الذي تبدي فيه القاهرة دعمها لشروط المقاومة المتعلّقة بإيجاد ضمانات حول مدينة القدس وعدم تغيير الواقع فيها.

وحسبما نقل المصريون إلى الفصائل الفلسطينية، فإن القاهرة معنيّة، وبشكل سريع، بالتوصّل إلى تفاهمات بخصوص استمرار التهدئة وتثبيت وقف إطلاق النار، وذلك بعد حصولها على تفويض وطلب أميركيَّين بهذا الخصوص. كما أبلغ المصريون، الفلسطينيين أن عملية إعادة إعمار قطاع غزة لن تتخلّلها مماطلة وستكون سريعة، إذ سيتمّ تسهيل إدخال المواد اللازمة عبر شركات مصرية، من خلال معبر رفح البرّي. ومساء أمس، أرسلت الفصائل الفلسطينية رسالة احتجاج إلى الوفد المصري لوقف الاستفزازات التي تقوم بها شرطة الاحتلال في الحرم القدسي واقتحامه والاعتداء على المصلّين فيه، مُحذّرة من أن مِثل هذه الأفعال كفيلة بتفجير الأوضاع مرّة أخرى. وبالتزامن مع وصول الوفد المصري إلى غزة، وصلت، أمس، 80 شاحنة مساعدات مصرية إلى القطاع عبر معبر رفح، مُقدّمة من أحزاب سياسية مصرية، يرافقها أعضاء أحزاب من تلك الأحزاب على متن 75 حافلة.

من ناحية أخرى، عمّت الاحتفالات قطاع غزة والأراضي الفلسطينية بعد التوصّل إلى اتفاق وقف إطلاق النار مع دولة الاحتلال، في صورة نصر واضحة على أقوى «دولة» في المنطقة، مع استمرار إشادة الفلسطينيين بهذا الإنجاز. وبالتوازي مع ذلك، عادت الحياة إلى شوارع المدينة، إذ رجع النازحون إلى منازلهم قرب الحدود، فيما بدا لافتاً تجديد الفلسطينيين طقوس عيد الفطر بلبس الثياب الجديدة وزيارة الأهل وتفقّد أهالي الشهداء. أيضاً، واصلت طواقم وزارة الأشغال والبلديات والدفاع المدني جهودها في رفع جزء من ركام القصف، بينما أعلن عن انتشال جثامين 9 شهداء من المقاومة استشهدوا في أول أيام الحرب داخل أحد الأنفاق، ليُشيّع جثامينهم الآف الفلسطينيين.

> **أبلغ المصريون الفلسطينيين أن عملية إعادة إعمار قطاع غزة لن تتخلّلها مماطلة**

في غضون ذلك، أكدت الغرفة المشتركة لفصائل المقاومة الفلسطينية، في مؤتمر صحافي، أنها فرضت معادلات جديدة على الاحتلال سيكون لها ما بعدها، جازمة أنها لن تقبل بعد اليوم التغوّل على أبناء الشعب الفلسطيني والمقدّسات، من دون ردّ. ووجّه الناطق باسم الغرفة المشتركة، «أبو أحمد»، رسالة إلى الاحتلال مفادها: «نقول لك بكلّ وضوح، إن عُدتم عُدنا، أيادينا على الزناد ولمعركتنا فصول لم تُكتب بعد، وإن منطق العربدة والعنجهية لن يواجَه إلّا بالصمود والردّ والتحدّي بعون الله، وإن المقاومة بخير، ولم تتمكّن آلة الدمار من الوصول إلى مقدّراتها وتدمير إمكاناتها كما روّج العدو لتبرير عدوانه والتغطية على فشله».

إلى ذلك، أعلن وزير الخارجية الأميركي، أنتوني بلينكن، أنه سيصل إلى الشرق الأوسط في الأيام المقبلة، وسيزور «إسرائيل» وأراضي السلطة الفلسطينية، ومصر، والأردن، في جولة هي الأولى له في المنطقة منذ تولّيه منصبه. وسيلتقي بلينكن، في زيارته، رئيس وزراء دولة الاحتلال بنيامين نتنياهو، ووزير خارجيته غابي أشكنازي، ووزير أمنه بيني غانتس، ورئيس السلطة الفلسطينية محمود عباس، فيما من المتوقّع أن تُركّز زيارته على تثبيت وقف إطلاق النار، وبحْث آلية تقديم المساعدة الإنسانية لسكّان غزة، وإعادة إعمار القطاع.

التوقّعات، إذاً، الثار الذي بدا أنه ينتهي قريباً، وما خَطّته مواجهة أيار لن يكون من السهل محوه. بل سيحفر عميقاً، إن على صعيد وحدة الشعب الفلسطيني، أو المواجهة مع الاحتلال، أو الاشتباك مع «سلطة أوسلو»

أكدت فصائل المقاومة الفلسطينية أنها فرضت معادلات جديدة على الاحتلال (أ ف ب)

«حماس» تبدأ خطوات العودة إلى سوريا

بعد سنوات من القطيعة بين حركة «حماس» والجمهورية العربية السورية، تستعدّ الحركة لاستثمار الإشارات الإيجابية الصادرة عن الرئيس بشار الأسد، في شأن السماح لـ«الحمساويين» بالعودة إلى الأراضي السورية بعد سنوات من مغادرتها، وذلك في أعقاب سلسلة مشاورات تنوي عقدها مع أطراف في محور المقاومة خلال الفترة القريبة.

وبحسب مصدر قيادي في «حماس» تحدّث إلى «الأخبار»، فإن لدى الحركة قراراً مسبقاً ببحث عودتها إلى الأراضي السورية عندما تحين الفرصة المناسبة، «وفي ضوء الرسائل الإيجابية التي نقلها لنا عدد من قادة فصائل المقاومة في سوريا عقب لقائهم الأخير بالرئيس بشار الأسد، وترحيبه بجميع الفصائل بدون استثناء، وتوجيهه التحية للحركة»، فإن هذا القرار سيتعزّز. وأشار المصدر إلى أن الحركة ستبدأ مشاورات مع حزب الله والجمهورية الإسلامية الإيرانية خلال الفترة القريبة، لجسّ نبض السوريين حول عودة علاقة الحركة معهم، متوقّعاً أن تكون الردود السورية إيجابية، ومن دون شروط مسبقة، الأمر الذي سيفتح الباب لعودة العلاقات، كخطوة أولى تتبعها عودة قيادات من الحركة إلى الأراضي السورية في وقت لاحق.

ولم يُخفِ المصدر وجود محاولات سابقة من قِبَل أطراف في محور المقاومة لترميم العلاقة بين الحركة والسوريين، غير أن تلك المحاولات اعتراها عدد من العقبات، آملاً أن يكون الانتصار الذي حقّقته المقاومة في غزة خلال معركة «سيف القدس» بوّابة لإزالة العقبات المذكورة. في ظلّ الاتفاق على برنامج المقاومة ومواجهة الاحتلال الإسرائيلي، وتمسّك الحركة بمبدأ عدم التدخّل في الشؤون الداخلية للدول العربية، وتعزيز العلاقات معها بهدف تجميع طاقات الأمة لدعم المقاومة.

وكان نائب الأمين العام لـ«الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين»، أبو أحمد فؤاد، قد كشف، أوّل من أمس، عن تطوّر في الموقف السوري جلّاه لقاء الرئيس الأسد بفصائل المقاومة الفلسطينية، عندما قال: «أبواب سوريا مفتوحة لكلّ فصائل المقاومة بغضّ النظر عن تسمياتها»، مُوجّهاً التحية إلى مقاومي «حماس» و«الجهاد الإسلامي» وكلّ الفصائل. وعلى الفور، جاء ردّ أسامة حمدان، القيادي في «حماس»، إيجابياً، بالقول: «هذا الموقف ليس غريباً وليس مفاجئاً، والمقاومة تعرف هذا الموقف، ومن يردّ علينا بتحية نردّ عليه بمثلها بل وخير منها، ونأمل أن تظلّ دمشق كما كانت عاصمة للمقاومة وداعمة للحق الفلسطيني».

(أ ف ب)

ثأر الضفة باقٍ: المارد خرج ولن يعود

رام الله ــ **الأخبار**

ما إنْ دخل وقف إطلاق النار بين المقاومة الفلسطينية والعدوّ حيّز التنفيذ، حتّى زحفت حشود غفيرة من الفلسطينيين إلى كلّ شوارع فلسطين، وتجدّدت المواجهات في المسجد الأقصى لساعات بعد احتفالات عارمة بانتصار المقاومة، انتهت إلى أكثر من 25 إصابة في صفوف الفلسطينيين وانسحاب شرطة العدوّ، فيما استمرّت المواجهات المشتعلة في ميادين الضفة الغربية، حيث يبدو أن الفعل المقاوم سيظلّ حاضراً مستقبلاً بعدما أضحت الضفة أكثر قابلية للانفجار في وجه الانتهاكات الإسرائيلية.

وعلى رغم إعلان وقف إطلاق النار، إلّا أن الضفة أصرّت على قول كلمتها في الميدان، ليس فقط على شكل احتفالات ما بين مسيرات راجلة وبالمركبات منذ ما بعد منتصف ليل الخميس وحتّى بعد صلاة الجمعة، بل إن المواجهات تجدّدت مع جيش العدوّ على نقاط التماس وعند الحواجز الإسرائيلية، في مشهد معاكس لِما توقّعه بعض المحلّلين من أن هدوء جبهة غزة سيؤدي إلى فتور المواجهات في الضفة والقدس وعلى باقي الجبهات. وتفيد إحصائية صادرة عن الهلال الأحمر بأن المواجهات في الضفة والقدس خلّفت، أمس، 82 إصابة في صفوف الفلسطينيين، فيما قالت وسائل إعلام إسرائيلية إن ثلاثة من جنود الاحتلال أصيبوا خلال مواجهات قرب بلدة بيتا جنوب نابلس.

وفي المسجد الأقصى، كانت الاحتفالات أكثر صخباً وحشداً، إذ بدات بدخول المصلّين بتكبيرات العيد مع صلاة الفجر، ثم تجدّدت بمشاركة عشرات الآف المصلّين بعد صلاة الجمعة، الأمر الذي أثار حنَق العدوّ، فدفع بقواته إلى باحات الأقصى، حيث دارت مواجهات عنيفة لساعات قبيل انسحاب شرطة الاحتلال. وتعكس الجموع المحتفلة الحاشدة تعطّش الفلسطينيين إلى خيار المقاومة كممثّل لهم، وثقتهم به كنهج استراتيجي. وبدا لافتاً هتاف المحتفلين في كلّ مكان لغزة، ولمقاومتها، ولمحمد الضيف باعتباره قائداً بارزاً استجاب لنداء القدس، حتّى إن رايات حركة «الجهاد الإسلامي» و«حماس» و«الجبهة الشعبية»، وباقي فصائل المقاومة، تعانقت في غالبية المسيرات والفعاليات الاحتفالية. وتحوّل عدد من المسيرات الاحتفالية إلى مواجهات عفوية، بعد محاولة العدوّ الاعتداء على المشاركين في عدّة مناطق، كالمسجد الأقصى وبلدة جبل المكبر في القدس، فيما توجّهت كلّ المسيرات، بعد صلاة الجمعة، إلى أقرب نقطة مواجهة مع العدوّ.

شكّلت معركة «سيف القدس» علامة فارقة ومحطّة مهمّة في الضفة الغربية، حيث التحمت الأخيرة باكراً مع غزة، وتنوّعت أشكال مشاركتها في المعركة ما بين مسيرات جماهيرية ومواجهات شعبية وعمليات إطلاق نار. إذ بلغ عدد نقاط المواجهة في هذه الجولة أربعة أضعاف نظيرتها في حرب عام 2014 (بلغ متوسّط عدد نقاط المواجهات اليومية ما بين 80 و100 نقطة)، فيما لم يزد عدد نقاط المواجهة عن 27 في الحرب الأخيرة). أمّا شكل المواجهة الأبرز في الضفة، فكان عمليات إطلاق النار في اتّجاه جنود العدوّ وأهدافه، إذ بلغت هذه العمليات نحو 38 في 11 يوماً، بينما وصل عددها إلى 47 خلال 51 يوماً من حرب عام 2014. وتشي الإحصائيات المذكورة بتطوّر ملحوظ في معدّل الاشتباك مع العدوّ في الضفة الغربية خلال السنوات السبع الأخيرة، على صعيد زيادة الفلسطينيين المشتبكين وتوسّع نطاق المواجهات، إضافة إلى عودة المقاومة المسلّحة بشكل متدرّج، على رغم عدم وجود أجنحة عسكرية رسمية ومنظّمة للفصائل الفلسطينية.

لقد حطّم الفلسطينيون في الضفة الغربية في معركة «سيف القدس» كلّ المعادلات الإسرائيلية، بما فيها مشاريع «التدجين» التي تهدف إلى منع أكبر عدد ممكن من الانخراط في مختلف أشكال الاشتباك مع العدوّ. اشتعال جبهة الداخل المحتلّ عام 48، شكّل، من جهته، ضربة قاسية للمنظومة الإسرائيلية برمّتها، وأربك كلّ تقديرات العدوّ. هكذا، عادت القضية الفلسطينية إلى أصولها الأولى وطبيعتها الحقيقية، حيث تغلّبت الهوية الوطنية الأصلية لفلسطينيي الداخل. وعليه، أدرك العدو، أخيراً، أن كلّ منطقة على امتداد خريطة فلسطين التاريخية تسبح تحت «برميل بارود» قد ينفجر في أيّ لحظة، بفعل استمرار عدوانه في أيّ مكان، وليس في قطاع غزة وحده. وشكّل دخول جبهة لبنان على خطّ المواجهة بإطلاق عدّة صواريخ والتظاهر عند الحدود، هو الآخر، إرباكاً للعدو. فارغمت كلّ هذه الجبهات المفتوحة رئيس الحكومة الإسرائيلية، بنيامين نتنياهو، صاغراً على إعلان وقف إطلاق النار من طرف واحد، لأوّل مرّة منذ سنوات طويلة.

> **لأوّل مرّة تخوض المقاومة حرباً من غزة يكون فتيلها المباشر الاعتداءات الإسرائيلية على القدس**

ويرى مراقبون أن المعركة الأخيرة فرضت على العدو إعادة حساباته، كونها ستنقل له تداعيات كثيرة، أهمّها ضرورة التفكير جيداً قبل بدء اعتداءاته على الفلسطينيين في أيّ مكان، في ظلّ غياب «خاصرة رخوة» أو مكشوفة» يمكن أن يدميها الإسرائيلي وقت ما يشاء. ولأوّل مرّة، تخوض المقاومة الفلسطينية حرباً من قطاع غزة يكون فتيلها المباشر هو الاعتداءات الإسرائيلية على القدس ومحاولة تهجير أهالي حيّ الشيخ جراح هناك، حيث تركّزت الحروب والجولات السابقة في أذهان الرأي العام الفلسطيني والإسرائيلي، وحتى العالمي، على أن المقاومة في غزة تعمل ككيان مستقلّ، ورافقت ذلك دعاية استغلّها خصومها تقوم على أن المقاومة «تسعى إلى إقامة دولة أو إمارة في غزة»، بعيداً عن باقي فلسطين. وجاءت معركة «سيف القدس» لتثبت أن المقاومة ذخر لكلّ فلسطين، بل امتدّ بُعدها إلى العالمَين العربي والإسلامي بخوضها المعركة من أجل انتهاكات العدوّ في القدس والمسجد الأقصى.

البعد الأخير حول أسباب المعركة، رفْع رصيد المقاومة من الحاضنة الشعبية، وأهّلها لتكون أكثر تمثيلاً للفلسطينيين في كلّ مكان. فالتظاهرات اجتاحت عشرات الدول العالمية، وليس فقط العربية أو الإسلامية خلال المعركة الأخيرة، الأمر الذي أعاد مركزية القضيّة الفلسطينية إلى أجندات العالم، وما يسمّى «المجتمع الدولي» وهيئاته المتشعّبة. ومن المهمّ القول هنا، إن المقاومة والتفاعل الكبير معها على مختلف الجبهات أجبر الإدارة الأميركية على مهاتفة نتنياهو، أكثر من مرّة، لطلب وقف إطلاق النار، بينما لم يكترث العدوّ في الحروب السابقة لرأي العام العالمي، وواصل هجومه الوحشي غير آبه بكلّ الوساطات.

الأكيد أن المدّ الجماهيري المنطلق في الضفة الغربية أعاد ثقة الشباب الثائر بنفسه. فمَن الآن، أضحى لأيّ اعتداء إسرائيلي ثمن. وفي حالة التمادي، يُحتمل أن يثور بركان في الضفة، وتتجدّد المسيرات عند معظم نقاط التماس من دون الحاجة إلى وجود فصائل. والأخطر في شكل مشاركة الضفة الغربية بالنسبة إلى العدو، سيكون ظهور قيادات ميدانية محلية للعمل الجماهيري. وعلى رغم أن الأسابيع المقبلة يُحتمل أن تشهد أوسع حملات اعتقال إسرائيلية في الضفة للمشاركين الفاعلين في الهبّة الأخيرة، إلّا أن الهبّة ذاتها أثبتت قدرة الشباب على خوض المواجهة وإشعالها في أيّ وقت، على رغم كلّ التحديات والظروف، وعدم الحاجة إلى قيادات ميدانية قد يتعمّد العدوّ تغييبها في سجونه.

شكّلت معركة «سيف القدس» علامة فارقة ومحطة مهمة في الضفة الغربية (أ ف ب)

على الغلاف | فلسطين تحطم الأسوار

إسرائيل أمام الأسئلة الكبرى: لماذا فشلنا؟

يحيى دبوق

تنتظر إسرائيل في مرحلة ما بعد وقف إطلاق النار مع قطاع غزة، علاماتٍ استفهام متشعّبة، في اتّجاهات ومستويات مختلفة، لا تقتصر على النتائج المادّية المباشرة للمعركة العسكرية فقط، بل وتطال أيضاً تداعياتها على ساحات أخرى، لا تقلّ أهمية، بل تزيد، عن الساحة الغزّية، على رغم تقدّم الأخيرة سلّم الأولويات حالياً. الأسئلة التي تشغل صاحبَي القرار السياسي والعسكري في تل أبيب، بل وشغلتهما قبل وقف إطلاق النار، تتعلّق بأسباب الفشل

> ستهتمّ إسرائيل بدراسة أسباب الفشل الاستخباري الذي منعها من تحقيق إنجازات

وتأثيراته السلبية على تموضع إسرائيل في مواجهة الفلسطينيين، سواء في غزة أو الضفة أو القدس، وكذلك في أراضي العام 1948. ولعلّ في مقدمة تلك الأسئلة في دائرة التحدّي الأولى، أي الفلسطينية، حجم الضرر الذي لحق بقوة الردع الإسرائيلية في هذه المواجهة، والذي يبدو كافياً في ذاته لمنع مواجهة أخرى، يُرجَّح، مع هذا، أن لا يفصلها زمن طويل عن الأخيرة. أيضاً، سيكون على إسرائيل البحث في قوة الفصائل كما تبدّت في الجولة

ستضع إسرائيل إمكاناتها لبلورة خطط ومسارات تهدف إلى تفريغ الانتصار الغزّي من مضمونه (أ ف ب)

المنتهية، وإن كانت تل أبيب تملك أدوات منع ترميمها أو تعاظمها من جديد.

في الإطار نفسه، سيتركّز الاهتمام الإسرائيلي على بحث فاعلية المعادلة المتشكّلة نتيجة الحرب، وإن لم يجر الاتفاق على محدّداتها: إن عاودت إسرائيل إجراءاتها في القدس، وكذلك في الضفة، فهل ستبادر غزة إلى التحرّك عسكرياً لمنع الاعتداء؟ هذا يعني البحث في تأثير الدور الحمائي الغزّي للقدس والمقدسيين وقضاياهم، ومدى إضراره على المستوى الاستراتيجي بإسرائيل، ودوره في تراجع مكانة السلطة الفلسطينية التي تُعدّ أداة طيّعة لدى الاحتلال، بالوكالة عنه وبالأصالة عن نفسها، لقمع أيّ مقاومة فعلية ضدّه. وإذا كانت إسرائيل التزمت بفكّ مستوى من مستويات الحصار، بما يشمل إمكانية إعادة بناء ما تضرّر من دور سكنية وبنية تحتية في القطاع، إلّا أنها ستكون معنيّة، إن قررت المُضيّ قُدُماً في التزامها المشار إليه، في البحث في إمكانية استغلاله لانتزاع تنازلات من الفصائل في ما يخصّ معادلة «غزة - القدس»، التي لم تقرّ بها علناً، وإن كانت تدرك أن مستلزمات تفعيلها باتت متوافرة لدى غزة، نتيجة المواجهة.

كذلك، ستهتمّ إسرائيل بدراسة أسباب الفشل الاستخباري الذي منعها من تحقيق إنجازات تطلّعت إلى تحقيقها أيّاماً طويلة، علّها تكون قادرة على تحقيق صورة انتصار ما، كان يحتاج إليها المستويان السياسي والعسكري لإنهاء الجولة. هذا الفشل الذي أدّى إلى تراجع الكيان، وإقراره بشكل غير مباشر بدونية قدرته على تحقيق الأهداف في مواجهة غزة، على رغم الفارق المهول في الإمكانات العسكرية بين الطرفين، يطرح تساؤلاً حول إذا ما كان ناجماً عن النماذج والقوالب الاستخبارية المعتمَدة في تقدير نيّات غزة وقدراتها، والتي ثبت فشلها، أو تمكّن الفصائل من التملّص من الحصار واحتواء الجهد الاستخباري المُسلَّط عليها، وإن كان الأكثر رجحاناً خليط من الأول والثاني، مع نسب مختلفة.

من الآن، ستضع إسرائيل إمكاناتها، وما يمكنها أن تضيف إليها من أصدقائها وأتباعها، على طاولة البحث تمهيداً لبلورة خطط ومسارات تهدف إلى تفريغ الانتصار الغزّي من مضمونه وفاعليته، مع الإدراك مسبقاً أن تأثيراته السلبية لا تقتصر على تموضع إسرائيل مقابل الدائرة الفلسطينية فقط، بل تنسحب كذلك على تموضعاتها الأخرى في ساحات أشدّ خطراً وتهديداً، بما لا يقارَن مع ما تُمثّله غزة. ومن بين المسارات التي يُقدَّر أن تلجأ إليها إسرائيل، في هذا الإطار، السعي إلى تحقيق أهداف من شأن إنجازها، من وجهة نظر تل أبيب، ترميم الردع، وربّما أيضاً تعزيزه، في مواجهة غزة. وهي غاية تُمثّل أولوية لدى إسرائيل في مرحلة ما بعد وقف إطلاق النار، بما لا يعني تقليص ما يُتوقّع منها من أفعال تجاه الفلسطينيين فقط، بل وأيضاً إمكانية أن تلجأ إلى الإضرار بقادة الفصائل، علّها تُحقّق، عبر تغييبهم جسدياً، ما عجزت عن بلوغه خلال المواجهة نفسها. وهذا لا يعني بالضرورة عمليات صاخبة قد تتسبّب في استئناف القتال، إذ يمكن للاحتلال أن يشتغل على عمليات ببصمة مكتومة، ما يتطلّب العمل في اليوم الذي يلي على توفير القدرة العملياتية لتنفيذ اعتداءات كهذه. وعليه، سيكون على الفصائل، في المقابل، العمل على تأمين المنعة الاستخبارية المضادّة، والانكفاء العلني ما أمكن، كمظلّة حمائية ضرورية في هذه المرحلة، لمنع الاحتلال من تحقيق أهدافه.

في مسار موازٍ، ستكون إسرائيل معنيّة، في اليوم الذي يلي، بدراسة موقع السلطة الفلسطينية، التي باتت في الوعي الجمعي لعموم الفلسطينيين، سلاحاً قمعياً يعمل بالوكالة عن الاحتلال لتحقيق أهدافه ورعاية مصالحه الأمنية. وعلى رغم أن الضرر اللاحق بالسلطة وبدورها الوظيفي، والذي يُعدّ من أهمّ النتائج المادّية للجولة الأخيرة، يتعذّر جبره، إلا أن إسرائيل ستبحث خياراتها في العمل على ترميم صورة رام الله في الوعي الفلسطيني.

في المحصلة، تتأثر المواجهة في الساحة الفلسطينية متشعّبة ومتنوّعة ومتداخلة، ومنها ما تُحقّق بشكل كامل، فيما تنتظر نتائج أخرى معارك غير عسكرية تُفترض أن يخوضها الفلسطينيون لاستكمال تحقّقها، فيما ستكون إسرائيل معنيّة بمنعها أو خفض سقف توقّعات الفلسطينيين منها. لكن واحدة من أهمّ النتائج المُنجزة، وإن رفضت إسرائيل الإقرار العلني بها، هي معادلة «غزة - القدس»؛ فمن الآن فصاعداً، سيكون على صاحب القرار في تل أبيب استحضار ردّ فعل غزة على أيّ إجراء عدائي ضدّ القدس والمقدسيين.

...نتنياهو مسؤولاً؟ شمّاعة كذب متواصل

يحيى دبوق

واحدة من مميّزات هذه الحرب، توجُّه الإسرائيليين، بما يشمل الجمهور ووسائل الإعلام وعدداً كبيراً من شخصيات المستوى السياسي، بأصابع الاتهام إلى رئيس حكومة العدو، بنيامين نتنياهو، بالمسؤولية عن الفشل. والظاهر، في خلفية ما تُقدّم، أن جهات في المؤسّستَين العسكرية والأمنية تشترك في تصدير نتنياهو، سواء للجمهور الإسرائيلي أو لأعداء إسرائيل، بأنه السبب شبه الوحيد لما آلت إليه المواجهة، وذلك باستخفافه بالمصالح الإسرائيلية ومعاكسته إيّاه، كما تغليبه المصلحة الشخصية على العامة. وفي هذا الإطار، بدا الإعلام العبري في اليومين الماضيين، حتى قبل أن يتحدّد موعد وقف إطلاق النار مع غزة، مشبعاً باتهامات واسعة النطاق ضدّ نتنياهو، في صورة تصريحات وتحليلات وتقارير وتسريبات وحتى كاريكاتيرات، فيما يكاد الاستثناء شبه الوحيد يكون متمثّلاً في المسؤولين المقرّبين من نتنياهو، والوسيلة الإعلامية الأكثر قرباً إليه: «القناة 20».

صحيح أن جزءاً من تلك المقاربة حقيقي، إلّا أن جزءها الآخر مغلوط تماماً. نتنياهو لا يمتنع عن فعل أيّ شيء يؤدي إلى تحقيق مصالحه الشخصية، حتى وإن كان على حساب مصلحة إسرائيل الدولة، لكن في المقابل، يبدو أن ثمّة خلطة من المصالح الشخصية لخصومه السياسيين، والتوجيهات الهادفة إلى ستر عيوب إسرائيل ومنع تظهير فشلها، تقتضي القول إن نتنياهو هو سبب الإخفاق، بما يُعدّ أقلّ سلبية على الأمن الإسرائيلي من الحديث عن فشل إسرائيل كدولة، أمام أعدائها. هنا، يمكن الإشارة إلى جملة حقائق لا يجب أن تغيب عن أعين المراقبين، وعلى رأسها أن إسرائيل لا يمكن لها ككيان أن تسمح لرأس الهرم السياسي فيها بفرض إرادته الشخصية عليها. نعم، يمكن لرأس الهرم، وهو نتنياهو في هذه الحالة، أن يستغلّ «إنجازاً» ما لمصلحته عبر توقيت تنفيذه، مثلما يفعل عندما يطلب من الجيش والمؤسسة الأمنية شنّ اعتداءات أو عمليات عسكرية أو اغتيالات، لكن لا يمكنه فرض شيء من أجندته الشخصية نفسها، إن لم تكن المؤسسة العسكرية والأمنية معنيّة به.

كذلك الأمر لناحية الجهوزية والاقتدار العسكريَّين والإحاطة الاستخبارية. ساحة القرار هنا كانت وستبقى للمستويَين العسكري والأمني. وإن أقدم نتنياهو، بوصفه رأس المؤسسة السياسية، على تشويش هذا الاستعداد، وهو ما لم يحدث، فللجيش أكثر من وسيلة ضغط كي يدفعه إلى التراجع. واحد من الأسئلة التي يمكن أن تعترض رواية مسؤولية نتنياهو، هو سؤال الإخفاق الاستخباري في تقدير نيّة الفصائل في غزة وإمكان مبادرتها إلى البدء بجولة قتالية وتحمّل تداعياتها. فإلى ما قبل دقائق من تساقط صواريخ المقاومة على أهداف إسرائيلية في القدس المحتلة، كان كلّ من في إسرائيل، على خلفية تقديرات سائدة ومجمَع عليها لدى الاستخبارات، يؤكد أن حركة «حماس» والفصائل الأخرى غير معنيّة بنشوب مواجهة، أو أيّ عمل عسكري من شأنه التسبّب بمواجهة. هل كان نتنياهو خلف هذا التقدير الذي تسبّب للجيش الإسرائيلي بفقدان عامل المفاجأة؟

> هل كان نتنياهو أيضاً هو الذي ردع الجيش الإسرائيلي عن المناورة البرية؟

ما في وعي الجمهور الإسرائيلي. هل كان نتنياهو، هنا، هو الذي دفع المستوى العسكري إلى الفشل، علماً بأنه صاحب مصلحة رئيسية، بمعنى المصلحة الشخصية، في الوصول إلى قادة المقاومة واغتيالهم.

من الاتهامات المساقة ضدّ نتنياهو، أيضاً، أن سياسته هي التي أدت إلى تعاظم قدرة فصائل غزة عسكرياً، ما أدى إلى صمود القطاع، وفشل اسرائيل في استعادة ردعها. إلّا أن المتابع للشأن الإسرائيلي يدرك أن سياسات إسرائيل المُتّبعة إزاء قطاع غزة منشأها الرئيسي هو الجيش الإسرائيلي نفسه، ومن ثمّ تماشت مصلحة نتنياهو الشخصية مع هذا التوجّه. الجيش الإسرائيلي هو صاحب نظرية أنكفائية ترى أنه يتعذّر على إسرائيل هزْم الفصائل في القطاع، وأن كلّ ما عليها فعله هو تعزيز الردع وإطالة فترة الهدوء بلا مواجهات، بنتيجته. فرض الجيش الإسرائيلي نظريته هذه على المستوى السياسي وعلى الجمهور، وزيّنها إلى حدّ باتت معه بلا منازع، إذ إن الخيار الآخر الذي قد يؤدّي إلى اجتثاث التهديد الغزّي، هو المناورة البرّية، مع ما تعنيه من توقّع عدد كبير جدّاً من القتلى والأسرى، فما بالك باحتلال متواصل للقطاع سيؤدي بدوره إلى انكشاف الجنود الإسرائيليين أمام عمليات المقاومة وإلى مزيد من القتلى؟ هل كان نتنياهو أيضاً هو الذي ردع الجيش الإسرائيلي عن المناورة البرّية، أم أن التهديد بتلك المناورة هو السلاح الذي يستخدمه الجيش لمنع المزايدات عليه، إزاء انكفائه عن غزة؟

في الخلاصة، الفشل يتعلّق بإسرائيل نفسها، بمؤسّساتها السياسية والعسكرية والاستخبارية، وكذلك بانكفاء مسؤوليها عن المواجهة خشية تداعياتها. إخفاء الأسباب، وتصويرها نتاجاً لسياسة شخص واحد ليس هو صاحب القرار الابتدائي والنهائي وفقاً لآلية بلورة القرارات في إسرائيل، هو تجهيل مقصود، تشترك فيه جهات تُخاصم نتنياهو. واللافت هنا قد يكون محل رهان مؤسّساتي، يتيح لإسرائيل حجب حقيقة الهزيمة. والفرق بين المطلبَين كبير جدّاً.

يتّهم نتنياهو بأن سياسته هي التي أدّت إلى تعاظم قدرة فصائل غزة عسكرياً (أ ف ب)

بورتريه

الشهيد جمال الزبدة... زرع عقله ومضى!

غزة ــ رجب المدهون

لم يكن البروفيسور جمال الزبدة، أستاذ العلوم الهندسية والميكانيكا، معروفاً على الساحة الفلسطينية كقيادي في المقاومة، إلا أنه كان يعمل في الخفاء على عين قائد أركانها، محمد الضيف، لتطوير قدراتها العسكرية، مترئّساً مجموعة مهندسين وخبراء محلّيين، يعملون ليل نهار لتحويل الموارد الشحيحة في قطاع غزة إلى أدوات متقدّمة تواجه جيش الاحتلال، الأمر الذي جعل الزبدة في نظر العدو بمكانة قريبة من الشهيد محسن فخري زادة بالنسبة إلى الجمهورية الإسلامية في إيران. الزبدة الذي خرّج جيلاً كبيراً من المهندسين من «الجامعة الإسلامية»، واستقطب سرّاً المئات منهم ليعملوا في البرنامج السرّي للمقاومة لتطوير أدواتها العسكرية وخاصة في ما يتعلّق بالصواريخ والطائرات المسيّرة، وضعه الاحتلال تحت الرادار منذ عام 2010، بعدما كان يشغل رئيس قسم الهندسة الميكانيكية في «الجامعة الإسلامية»، ليحاول اغتياله ويفشل في عام 2012 في آخر ساعات من الحرب.

> أكاديمي ومهندس فذ وعقلية جبّارة ومقاتل عنيد

حصل الزبدة، قبل 35 عاماً، على الدكتوراه في العلوم الهندسية والميكانيكا، من «معهد فيرجينيا للفنون التطبيقية» في الولايات المتحدة الأميركية، لتحصل بعدها عائلته على الجنسية الأميركية وتُقدَّم له العروض ليبقى في الولايات المتحدة، وخاصة أن أبحاثه تخصّصت في محرّكات الطائرات النفّاثة «أف 16»، واعتُمد عليها لاحقاً لتطوير الطراز الأحدث من تلك الطائرات (f 35). وقد عُرفت أبحاثه في الديناميكا الهوائية وجناح دلتا» (Delta wing)، المستخدَمة في صناعة الطائرات الحربية المختلفة، طريقها إلى عشرات المجلّات والكتب العلمية المتخصّصة لتصبح مرجعاً في تطوير المحرّكات. وفي عام 1989، طوّر الزبدة نموذجاً تحليلياً جديداً حول «تأثير الحركة وسرعة الصوت لأجنحة دلتا»، استُخدم كمرجع علمي في مؤلّفات لاحقة حتى ما بعد الألفية الجديدة.

وفي عام 1994، قرّر العودة إلى قطاع غزة للعمل كمحاضر في «الجامعة الإسلامية» في كلية الهندسة، ليبدأ مسيرة تطوير قدراته في الأبحاث العلمية، وينتقل ليصبح خبيراً في البرمجة بجوار علوم الهندسة. يقول أحد تلاميذه، الباحث سعد الوحيدي، إنه في ذات يوم سأل الشهيد ممازحاً: «عم (أبو أسامة) حدّ بسيب أمريكا وبيرجع على غزة؟»، فأجابه: «هذه البلاد أمانة وقضية يا سعد، ومَن عنده انتماء لقضيته لا أمريكا ولا 1000 أمريكا تغريه». ويقدّم الزبدة نفسه على موقع «الجامعة الإسلامية» في غزة، في سيرته الذاتية، على أنه عمل في «إدارة المشروعات والإشراف عليها، ومتخصّص في ميكانيكيا الموائع والمكونات الهيدروليكية، وديناميكا الموائع الحسابية والديناميكا الهوائية، ومجال الهندسة الإنشائية، وتطوير البرمجيات». وفي عام 2006، بدأ عمله في المقاومة الفلسطينية بعدما انضمّ إلى فريق خاص وسرّي من المهندسين داخل «كتائب القسام» لتطوير الأدوات العسكرية للكتائب، بما فيها برنامج الصواريخ التي وصلت مياهتا في عام 2009 إلى 35 كلم، وفي عام 2021 لتغطّي كلّ فلسطين المحتلة.

ويقول تلميذه الوحيدي: «هذا الأكاديمي الحق، والمهندس الفذّ، والعقلية الجبّارة، والمقاتل العنيد، شخصية كانت تنتقل بروح الله ومعيّته من قاعات المحاضرات إلى المعامل والمختبرات، وتُرابط في ورش التصنيع والتطوير ومختبرات المقاومة ومعاملها، حتى أجرى الله على يديه وأيدي تلاميذه وإخوانه ما يسيء اليوم وجه العدو».

ويضيف إن الشهيد الزبدة «انتصف يومه وانقسمت حياته؛ بين تدريس وإعداد آلاف المهندسين في مختلف تخصّصات كلّية الهندسة في الجامعة الإسلامية في غزة، وإعداد وتدريب المقاتلين والفنّيين والمهندسين ليكونوا روافع ودعائم للعمل العسكري المقاوم الذي يدكّ اليوم قلب الكيان المسخ (تل أبيب)». وخلال عمله في وحدات البحث والتطوير، ضمّ ابنه، المهندس أسامة، الذي يحمل الجنسية الأميركية، والذي نعته زوجته بعد استشهاده قائلة: «زوجي... صاحب الثلاثة والثلاثين عاماً، ولو قيست أعمارُ الرجال بأعمالهم لكان أكبرهم قدراً وعمراً... زوجي صاحب الجنسية الأميركية، الذي عرف أن أقصر الطرق إلى الله هي أن تفتديه وتبذله بروحك وعقلك ووقتك ومالك، فأثرها عمّا سواها... زوجي المهندس الذي قال فيه أبوه محدّثاً إيّاي: (زوجك اليوم يا خالي عمل شيء كان ممكن يعمل عليه أفضل بحث دكتوراه في عام 2019). لا أعلم ماذا فعل بالتحديد، ولكني على يقين أن العشر ساعات التي كان يقضيها يومياً في ورش التصنيع عائداً إليّ بوجه مُغبَرّ ويدين مُتَّسخَتَين، منحته شهادة الآخرة، وأولئك كان سعيهم مشكوراً... زوجي الذي رحل باكراً جدّاً تاركاً لي قِطع فؤاده... سلامٌ عليك في دار الخلود».

في اليوم الثاني من حرب «سيف القدس»، قصفت طائرات حربية إسرائيلية المكان المُحصَن الذي كان يوجد فيه الزبدة وعدد من مهندسي المقاومة تحت الأرض، بأكثر من 20 صاروخاً أميركياً من نوع «GBU»، المخصّص لاختراق الأماكن المحصّنة، ليستشهد هو ورفاقه، وتنعاه كتائب «القسام»، بجوار قائد لواء غزة في «الكتائب»، باسم عيسى، رفيق المهندس الأول، يحيى عياش. وبعد استشهاد القائد الزبدة وابنه، نشر جهاز الأمن الداخلي للاحتلال، «الشاباك»، وصفاً للشهيد قال فيه إنه كان يمثّل قوة أساسية وراء شبكة إنتاج الصواريخ، وأنه أحد أبرز خبراء البحث والتطوير في «حماس»، إضافة إلى أنه شارك أيضاً في تطوير المشاريع لبناء قوة الحركة، بحسب ما ورد في موقع وزارة الخارجية الإسرائيلية.

على الغلاف | فلسطين تحطم الأسوار

فلسطين... بعد الانتصار

منير شفيق

جاء وقف إطلاق النار المتبادل، بلا شروط، تثبيتاً للإنجازات والانتصارات التي حقّقتها انتفاضة القدس، وصمود أهالي حيّ الشيخ جراح، وانتفاضة فلسطينيي الـ 48، والتي لحقتها مقاومة شعبية في عدّة مواجهات في الضفة الغربية، على الرغم من التنسيق الأمني. وتمّ الإعلان عن وقف إطلاق النار من جانب المقاومة في قطاع غزة،

فرضت المقاومة قواعد اشتباك لا تقتصر على قطاع غزة، وإنما تشمل القدس ومسجدها الأقصى

تأكيداً لِما حقّقته من توسيع قواعد الاشتباك لتشمل القدس والمسجد الأقصى، وهو ما جعل العدوّ يتراجع عن مواصلة محاولات اقتحام الأقصى من خلال إغلاق باب المغاربة (من دون إعلان)، بعدما وصلت الصواريخ ــ التي بلغت عدّة آلاف ــ إلى تل أبيب والقدس وعسقلان ومناطق أخرى، ما أربك العدوّ وجعل ردود فعله، مهما بلغت فداحتها، محكوماً عليها بالفشل، وهو ما يؤكد اضطرار قيادة العدو إلى قبول وقف إطلاق النار بلا شروط.

لهذا، حقَّ للفلسطينيين ومناصريهم ومشاركيهم وداعميهم أن يرفعوا شارات النصر، وأن يعلنوا ما تمّ تحقيقه، حتى الآن، نصراً. ولكنه نصرٌ تبدأ معه مرحلة جديدة من الصراع، ذلك أن الاحتلال ما زال قائماً، وما زال الكيان الصهيوني يأمل بإعادة عقارب الساعة إلى الوراء، وإتمام مشروعه الذي يقوم على أساس اقتلاع كلّ الفلسطينيين من فلسطين، وإحلال الكيان الاقتلاعي الاستيطاني العنصري مكانهم في كلّ البلد. ولكن، لكي تُستجلى المرحلة المقبلة من الصراع، لا بدّ من مراجعة سريعة لتفاصيل ما جرى في رمضان وبعده، وصولاً إلى اللحظة الراهنة.

وصل الوضع، الآن، إلى ما يلي: استمرار الحرب الرابعة لليوم الثاني عشر بين المقاومة في قطاع غزة وقيادة الجيش الصهيوني. وقد راحت عدّة دول عربية وأجنبية تتدخّل لوقف إطلاق النار في آن واحد. فوجدت أمامها مقاومة لها شروطها، منها التعهُّد بوقف اقتحام المسجد الأقصى، وبوقف الاستيلاء على بيوت «الشيخ جراح»، والتعهُّد بعدم القيام باغتيالات، مع تكريس قواعد اشتباك لا تقتصر على قطاع غزة، وإنّما تشمل القدس ومسجدها أيضاً.

أمّا الكيان الصهيوني الذي فوجئ بالحرب أصلاً، فقد راح يردّ على قطاع غزة، بكلّ ما يمتلك من قوّة نيران، حتى زاد عدد الشهداء على المئتين، وبلغ عدد الجرحى الآلاف، فيما الدمار واسع جداً. ولكن ذلك لم يؤدِّ، على أيّ حال، إلى وقف المواجهة، أو إبداء المقاومة استعدادها لوقفها من دون فرض شروط على العدوّ وإقرار الأخير بذلك علناً، الأمر الذي جعل رئيس الحكومة الإسرائيلية، بنيامين نتنياهو، يَصعد على شجرة لا يعرف كيف ينزل عنها. وأصبح التصعيد العبثي ملجأه الوحيد.

بكلمة: يمكن القطع أن المقاومة في قطاع غزة كسبت الحرب حتّى لو لم تفرض شروطها، وذلك بتوقُّف إطلاق النار من دون شروط. فما تحقَّق من إنجازات تحقّق على الأرض. وبهذا، نشأت معادلة: «وإن عدتم عدنا». وهو ما جعل من الصعب على قيادة الكيان الصهيوني القبول بوقف متبادل لإطلاق النار، بلا شروط، لأن خسارتهم أصبحت واضحة.

على المستوى الآخر، فإن تطوُّر الانتفاضة، بأشكالها المختلفة خلال شهر رمضان وفي ظلّ صواريخ المقاومة، حقّق ما لم يحصل منذ النكبة عام 1948، أي وحدة الشعب الفلسطيني في كلّ من الداخل الفلسطيني المجزّأ وفي الخارج، ولا سيما انضمام شباب الـ 48 إلى الاعتصام في المسجد الأقصى، وانتفاض اللد وحيفا وعكا والناصرة. وهو ما أسهم، بدوره، في إطلاق مقاومة شعبية، كانت قد تأخّرت في الضفة الغربية، بسبب موقف القيادة الرسمية واستمرار التزامها باتفاق التنسيق الأمني.

وهنا، يمكن القطع بأن انتفاضة باب العمود، وصمود أهالي «الشيخ جراح»، ونجاح المرابطين في المسجد الأقصى، ومواجهات شباب القدس، وتدخّل صواريخ قطاع غزة، حقّقت إنجازات وانتصاراً، ولا سيما في إغلاق باب المغاربة للحيلولة دون تنفيذ جماعات الهيكل تهديدها بإعادة اقتحام المسجد في الأسبوع الماضي، تنفيذاً لعدّة مناسبات دينية كانت تعدّ لها.

من هنا، فإن المواجهات والانتفاضات الشعبية التي اندلعت في رمضان، وما زالت مستمرّة حتى الآن، شملت كلّ شعب فلسطين في الداخل والخارج، وحقّقت إنجازات مهمّة يمكن أن تتصاعد في المرحلة المقبلة. ولكن المشكلة تبقى في قيادة سلطة رام الله التي ستتّجه إلى التهدئة، تعلّقاً منها بأوهام الحلول السياسية والوعود الأميركية.

على أن ثمّة تقطّعَيْن بحاجة إلى وقفة لمنع الذين في قلوبهم مرض من أن يعودوا للصيد في الماء العكر تعويضاً لِما حلّ بكلّ طروحاتهم السابقة من هزائم سياسية مروّعة، وهم يشهدون انتفاضة باب العمود، وصولاً إلى الصواريخ التي ضربت تل أبيب. لقد تهاوت الموضوعة القائلة إن الكيان الصهيوني لم يعد العدوّ الأول للعرب والمسلمين، وإن الهرولة نحو التطبيع مع هذا العدوّ إلى حدّ التبعية له، هي المستقبل العربي والإسلامي القادم. فإذا بانتفاضة القدس وفلسطين وصواريخ المقاومة، ولا سيما «حزب الله»: لماذا لم يتدخّل عسكرياً لمساندة غزة؟ وذلك من دون أن يجرؤوا على الدعوة إلى إنقاذ غزة، لأن غزة، وقفت نِدّاً، وهي التي بادرت بإطلاق الصواريخ، وحقّقت نصراً، قبل أن يتوقّف القتال. وقد راحت أميركا ترسل لها الوسطاء لتقبل بوقف إطلاق النار، فإذا بها تضع شروطاً إذا قبل بها نتنياهو يُمزّغ رأسه في الوحل.

فالتدخل يكون في حالتين: حالة إنقاذ مقاومة قطاع غزة من سحق، وهذا غير وارد، وليس بوارد. والحالة الثانية حين تُفتح أبواب الحرب على مصراعيها للتحرير الكامل، وليس لتحقيق أهداف جزئية يمكن تحقيقها، أو أغلبها، من دون حروب إقليمية كبرى. ولعلّ هذا اليوم آت، بظروف أخرى، ومعادلة قوى أخرى. فالوحدة بالمشاركة الجماعية تتحقّق، وفق سُنن الحرب والسياسة، في حالة الهجوم العسكري العام، وليس في مراحل قبل ذلك.

والنقطة الثانية: عدم الاعتراف بفشل العدو بسبب الغموض في وقف القتال، فيمكن التلاعب بتقدير الموقف، وذلك إلى جانب عدم الإعلان عمّا يقوم به من تنازلات وتراجعات، فبعضها طبّقها عملياً من دون الإعلان، كإغلاق باب المغاربة في وجه المستوطنين الذين اعتدوا لاحقاً لاقتحام المسجد الأقصى حيث لم يُعلن عن هذا الإغلاق، كما لم يتمّ إعلان تأجيل ترحيل أهالي «الشيخ جراح»، إذ أُبقي مؤرجحاً.

ثم يتمّ هذا الاستغلال هنا، بإبراز ما وقع من شهداء وجرحى وخسائر مادية من خلال القصف الجوي الصهيوني. وذلك ليقولوا إن الخاسر في هذه المواجهة كانت غزة وليس «إسرائيل».

وهنا، لا يسألون، إذا كان العدو قد انتصر، لماذا لم يفرض شروطه لوقف إطلاق النار؟ ولماذا لم يحتلّ قطاع غزة ويسحب سلاحه، كما كان يحدث أيّام «انتصاراته العسكرية»؟ ثم لا يلحظون ما لَحق بسمعته من سوء في نظر الرأي العام العالمي الذي سيكون من أسباب هزيمته النهائية.

لا شكّ في أن ما حدث في فلسطين خلال شهر رمضان وما بعده، شكّل في ضخامته وأبعاده وتداعياته نقطة فاصلة بين مرحلتين، وذلك بغضّ النظر عن التفاصيل والأشكال التي انتهى إليها القتال في حرب غزة، كما بغضّ النظر عن كيفية استمرار ما حدث من انتفاضات ومواجهات في القدس ومناطق الـ 48 وقطاع غزة والضفة الغربية.

وما دام وقف إطلاق النار قد ثبّت انتصار المقاومة من دون أن يعترف الكيان الصهيوني بفشل أو بهزيمة، فإن ما بعده ستحكمه قاعدة «وإن عدتم عدنا»، أي إذا عاد العدو لاقتحام المسجد الأقصى، أو ذهب إلى ترحيل أهالي الشيخ جراح، ولا سيما إذا عادت الانتفاضة، فالسمة الشعبية التي تكرّست هنا تحمل في طياتها أيضاً قاعدة «وإن عدتم عدنا»، أي إذا حاول الكيان الصهيوني العودة إلى كلّ ما أدّى إلى الانتفاضات والصدامات، الأمر الذي يجب تكريسه في المرحلة المقبلة باعتبار الأصابع على الزناد في قطاع غزة، وباعتبار الانتفاضات والمقاومة «وراء الباب» في القدس والضفة وقطاع غزة ومناطق الـ 48.

كان من المفترض أن تتواصل الانتفاضات بعد أن تضع الحرب أوزارها في قطاع غزة، وذلك لعدم إعطاء الكيان الصهيوني فرصة لإعادة تنظيم صفوفه التي اضطربت في ميدان المواجهة، كما على المستويَين الداخلي والدولي إلى جانب تدهور سمعته أمام الرأي العام العالمي. وكان من المفترض أيضاً، أن تُترجم وحدة الشعب الفلسطيني في الداخل وفي الخارج، بتشكيل جبهة متّحدة من الفصائل وقيادات من شباب الانتفاضات، تحت استراتيجية مواصلة الانتفاضة الشاملة حتى دحر الاحتلال وتفكيك المستوطنات، وبلا قيد أو شرط، في ظلّ استعادة السردية الفلسطينية: «كلّ فلسطين لنا»، وتحريرها من النهر إلى البحر.

طبعاً، هذا الافتراض، أو المفترض، يتهدّده موقف الرئيس الفلسطيني وقيادة «فتح» إذا ذهبا إلى التهدئة واكتفيا بما تحقّق، وفتحا الباب أمام أوهام التسوية وحلّ الدولتين التصفوي. وهو ما ستضع أميركا كلّ ثقلها وراءه، وتحشد دعماً دولياً ودعم قيادات عربية لتعزيزه، الأمر الذي سيشكّل طعناً للإنجازات التي حقّقتها «انتفاضة فلسطين»، وتمييعاً للموقف الفلسطيني وعوْدا لانقسامه، وإنقاذاً للكيان الصهيوني من المأزق الذي راح يطبق عليه من كلّ جانب.

لا شكّ في أن ما حدث في فلسطين شكّل في ضخامته وإبعاده وتداعياته نقطة فاصلة بين مرحلتين (أ ف ب)

حصر الأضرار متواصل: غزة على طريق «قيامة» جديدة

يزن منصور

غيّرت الحرب الإسرائيلية على غزة معالم المدينة كلّها. طال الدمار الشوارع الحيوية والرئيسيّة، كشارع عمر المختار، والوحدة، والرشيد، إلى جانب تدمير شبكات الصرف الصحي والمياه وتصريف الأمطار. تدميرٌ كشف عن الوجه الحقيقي لهذه الحرب؛ فهي ليست محاولة لاستهداف البُنى العسكرية للمقاومة فحسب، بل وأيضاً البنية الأساسية للقطاع كالمباني الحكومية والسكانية ذات القيمة المرتفعة (الأبراج)، والتي كانت الأكثر تضرُّراً.

عبّرت إسرائيل صراحةً عن إرادتها استهداف الأنفاق الأرضية والبنى التحتية للمقاومة الفلسطينية. وقد كان من الممكن أن يُفهم ذلك في إطار سلسلة الاستهدافات للمناطق الحدودية. غير أن استهداف المفترقات والشوارع الرئيسيّة داخل محافظات القطاع الخمس، يضع علامات استفهام كبيرة حول هذا العدوان وغاياته. تشير التقديرات الحكومية إلى أن حجم الأضرار يتجاوز خسائر الحروب الثلاث السابقة، وخصوصاً أن التدمير شمل المنشآت الحكومية والمدنية والبنى التحتية، وضاعف أزمة الكهرباء. وفي هذا الإطار، قال مصدر في وزارة الأشغال العامة والإسكان في قطاع غزة، لـ«الأخبار»، إن «عملية حصر الأضرار لا تزال مستمرّة وتحتاج إلى بعض الوقت، لكن التكلفة التقديرية لإعادة إعمار ما دمّره الاحتلال، لن تقلّ عن 500 مليون دولار كحدّ أدنى». وأضاف المصدر: «نحن ما زلنا نعالج دمار الحرب السابقة (2014). وعلى رغم ذلك، جاءت هذه الحرب لتُلحق خسائر مضاعفة بالوحدات السكنية والبنية التحتية والمنشآت الصناعية بشكل يصعب تصوّره، بما يعطي دلالة واضحة على أن الاحتلال يحاول إبقاء الحياة في غزة تسير بالحدّ الأدنى ومحلّ احتياج دائم ومستمرّ». وعبّر المصدر عن مخاوفه إزاء عرقلة إسرائيل محاولات إعادة إعمار القطاع، وإعاقة وصول التبرّعات من قِبَل الدول والمؤسسات المانحة إلى غزة، من خلال وضع آليات رقابية مشدّدة وشروط معقّدة لإدخال مواد البناء أو الآلات.

ولا يخفي العدو سعيه إلى استنزاف القطاع على المستوى الاقتصادي لمدّة طويلة في عملية إعادة الإعمار، وذلك لدواعي إشغال المقاومة عن استكمال مشروع تطوير قدراتها العسكرية، واستنزاف الطاقات لأمد بعيد من خلال خلق المزيد من الأزمات الداخلية وإنهاك البنى التحتية. وطبقاً لِما قاله وكيل وزارة الحكم المحلي في غزة، أحمد أبو راس، في تصريحات صحافية، فإن أكثر القطاعات تضرُّراً على صعيد البنية التحتية، هي الشوارع والطرق والأرصفة، ومن ثمّ شبكات الصرف الصحي ومضخّات الصرف الصحي الخاصة بالأحياء والمدن، ثمّ آبار المياه الجوفية وشبكات تصريف مياه الأمطار الموجودة في مختلف مناطق القطاع. وأوضح أبو راس أن مدينة غزة كانت الأكثر تضرُّراً جرّاء العدوان، باعتبارها المركز التجاري والرئيسي للقطاع، إذ كان هدف الاحتلال واضحاً بتقطيع أوصال الأحياء ومحاولة التركيز على وسط المدينة، وتحديداً حيّ الرمال الشمالي والجنوبي، وهدم البيوت والمحال التجارية والأبراج.

وقبل ساعات من إعلان التهدئة التي دخلت حيّز التنفيذ فجر الجمعة، أكّد رئيس سلطة المياه، مازن غنيم، أن الاحتلال باستهدافه البنية التحتية، سيفاقم الوضع الإنساني الصعب، وسيعيد الكارثة التي كانت تتهدّد حياة الغزّيين. وقال غنيم، خلال مؤتمر صحافي عقده في رام الله، إن العدوان على غزة تسبّب في نقص ما نسبته 50% من كميات المياه الصالحة للاستخدام المنزلي المزوّدة للمواطنين، نتيجة تضرُّر البنى التحتية ومصادر المياه والخطوط الناقلة والشبكات والمضخّات والخزّانات، إمّا بشكل مباشر أو غير مباشر.

جاءت هذه الحرب لتُلحق خسائر مضاعفة بالوحدات السكنية والبنية التحتية والمنشآت الصناعية في غزة

ولَمس المواطنون، منذ اليوم الأوّل للحرب، سرعةَ تدخّل المجالس البلدية المحلية في قطاع غزة، لإعادة إصلاح الطرق المتضرّرة من خلال طمر الحفر وإزالة الركام، إلى جانب بعض الحلول السريعة للطرق الرئيسيّة الأكثر تضرُّراً. وفي منشور لها عبر موقع «فايسبوك»، قالت الكاتبة هبة الأغا، مُعقّبة على قيام بلدية غزة بإعادة فتح الطرق الرئيسيّة باستخدام إمكاناتها المتواضعة: «شكراً بلدية غزة هاشم على هذا الجهد... هذا هو الصمود الحقيقي». ولا توجد تقديرات واضحة حول المدّة الزمنية التي يمكن أن تستغرقها عملية إعادة إعمار البنية التحتية المتضرّرة وإيواء النازحين، غير أن المسألة مناطة بمدى توفُّر الأموال والمواد اللّازمة. لذا، يتطلّع المسؤولون الحكوميون إلى ضرورة أن تضمن الجهات السياسية المخوّلة بحثَ التهدئة، إقرار نصوص واضحة متعلّقة بإعادة الإعمار وتوفير ضمانات حقيقية لذلك، إلى جانب رفض آليات الرقابة على برنامج إعادة الإعمار والتي كانت تحدّ في السابق من إدخاله.

يتجاوز حجم الأضرار الناتجة من هذه الحرب خسائر الحروب الثلاث السابقة (أ ف ب)

مصر تستعدّ لإعادة الإعمار

تعتزم مصر لعب دور محوري في عملية إعادة إعمار غزة، بما يتّسق مع الأولوية التي يعطيها الرئيس عبد الفتاح السيسي للملفّ الفلسطيني بشكل استثنائي خلال الفترة الحالية، من خلال جهاز المخابرات العامّة، اللاعب الأكبر في الملفّ، والمحرّك الرئيسيّ والوسيط في عمليات التفاوض مع الأطراف في تل أبيب وغزة والضفة.

وبعد نجاح جهود تثبيت الهدنة على المدى القصير، تُركّز المخابرات، الآن، على ملفّ إعادة الإعمار، الذي ستضطلع فيه بجهود استثنائية، ليس عبر تمرير مستلزمات البناء من معبر رفح فقط، بل وأيضاً من خلال تحديد آلية تدفّق الأموال وطرق المحاسبة، فضلاً عن تنسيق التبرّعات والمستلزمات التي سيتمّ إدخالها.

وتعتزم المخابرات إسناد الملفّ بشكل رئيسيّ إلى الشركات التابعة للجيش، مع تقليص النفوذ الخاص بالشركات التركية، وتعزيز التعاون مع الأطراف الخليجية التي ستقوم بإرسال مساعدات إلى غزة خلال الأسابيع المقبلة، ولا سيما الكويت والسعودية. ومن بين ما تعتزم المخابرات التنسيق في شأنه، إعادة هيكلة أجزاء من القطاع، و«ضبط الشريط الحدودي من الجانب الفلسطيني بشكل أكثر جدّية» وفق التوصيفات الرسمية، وخاصة مع الاستعداد لافتتاح مدينة رفح الجديدة التي قام الجيش ببنائها، في وقت سيتمّ فيه الدفع بشركات مدنية، مع إسناد دور إلى الهيئة الهندسية، سواء بشكل مباشر أو غير مباشر.

وبحسب مصادر تحدّثت إلى «الأخبار»، فإن ثمّة رغبة مصرية في عودة العلاقات مع حركة «حماس» وباقي الفصائل الفلسطينية، بما يحمي مصالح القاهرة، التي تسعى أيضاً إلى ضمان استمرار الهدنة. وعلى رغم وجود مخاوف مصرية في هذا الإطار، ولا سيما بسبب استمرار إسرائيل في التلويح بتفعيل سياسة الاغتيالات، إلا أن مصر قرّرت الاستمرار في جهودها في الفترة المقبلة من أجل تثبيت هدنة طويلة الأمد، والدفع نحو عقد مؤتمر يضمّ أطرافاً دولية معنيّة بالملفّ الفلسطيني، مع دعوة أمير قطر، تميم بن حمد، إلى حضوره، أو عقد مفاوضات لـ«السلام» بمشاركة مصرية ـ أردنية.

الأخبار
al-akhbar
■ رئيس التحرير ـ المدير المسؤول: ابراهيم الأمين
■ نائب رئيس التحرير: بيار أبي صعب
■ مدير التحرير: وفيق قانصوه
■ مجلس التحرير: حسن عليق، إيلي حنا، أمل الأتحري
■ صادرة عن شركة أخبار بيروت
■ المكاتب: بيروت ـ فردان ـ شارع دونان ـ سنتر كونكورد ـ الطابق الثامن
■ تلفاكس: 01759500، 01759597
■ ص.ب 113/5963
■ الإعلانات: الوكيل الحصري ads@al-akhbar.com 01/759500
■ التوزيع: شركة الأوائل 15 ـ 01/666314 ـ 03 / 828381
■ الموقع الالكتروني www.al-akhbar.com
■ صفحات التواصل /AlakhbarNews
@AlakhbarNews
/alakhbarnews-paper

على الغلاف | فلسطين تحطم الأسوار

العصيّ الثابت في القضيّة الفلسطينيّة، اليوم وغداً، وبعد غد

أسعد أبو خليل *

القضيّة الفلسطينيّة منذ نشوئها كانت حجر عثرة: حجر عثرة أمام المشروع الصهيوني المتوسّع والمتكبّر، وأمام الأنظمة العربيّة التي أرادت منذ الثلاثينيّات إخماد غضب الشعب الفلسطيني. وتلاقت مصالح الأنظمة العربيّة مع مصالح دول الغرب والصهيونيّة لتسكين الشعب الفلسطيني وإطفاء جذوة ثورته. حيل وخطط ومؤامرات تلاقت في السعي للإجهاز على العمل الفلسطيني المسلّح. في انتفاضة 1936 - 39، توسّط زعماء العرب الموالون للاستعمار البريطاني (من لبنان إلى السعوديّة) لتهدئة الشعب وإقناعه بضرورة إعطاء الفرصة للمستعمر البريطاني من أجل أن يحدّ من اندفاعة ثورة الفلاحين على أرض فلسطين (وهذا المستعمر هو نفسه الذي استعمر فلسطين ومنح «وعد بلفور» لأقليّة صغيرة من السكان اليهود).

والقضيّة الفلسطينيّة تقف حجر عثرة أمام النظام الاحتلالي (بالواسطة) الذي أقامته أميركا وإسرائيل في مسيرة أوسلو. سلطة السرقة والنصب والتّنسيق الأمني في رام الله تستطيع أن تستمرّ ما دام هناك قمع للقضيّة الفلسطينيّة وحركات المقاومة. لهذا، فإنّ سلطة الاحتلال والراعي الأميركي سمحا بخلق جهاز شرطة فلسطيني وتسليحه بما يساهم في قتل الشعب الفلسطيني لو حاول الانقلاب على أوسلو أو أن يقاوم الاحتلال - وهذه عقليّة أميركا نفسها في تسليح الجيوش العربيّة في الدول المجاورة لفلسطين: المسموح هو قمع الشعب وليس إطلاق رصاصة واحدة ضد إسرائيل. تسمح الإدارة الأميركيّة لجوزيف عون في لبنان باستعمال السلاح والتجهيز الأميركي لمطاردة شوالات البطاطا وأكياس مساحيق الغسيل («برسيل»)، والتنباك المُعسّل على الحدود الشرقيّة، على أن يمتنع عن إطلاق رمية حجر على العدو الإسرائيلي، ولو اخترق الحدود اللبنانيّة. أولاً، وحدة الشعب الفلسطيني. استطاع الشعب الفلسطيني في يوم 18 آيّار، بعد ثلاثة أيّام من ذكرى النكبة، أن يعلن يوم الإضراب العام ضد وحشيّة الاحتلال. ويوم الاحتجاج هذا كان فعل توكيد على وحدة الشعب الفلسطيني بعد أكثر من قرن من محاولات التهجير والتفتيت والتقسيم وزرع الشقاق. إنّ مشاركة الشعب الفلسطيني في أراضي 1948 في الاحتجاج في فلسطين، دحض إلى غير رجعة كلّ المؤامرات لتقسيم الشعب الفلسطيني. ووحدة الشعب الفلسطيني ليست حالة عاطفيّة، بل هل تنسف أسس كل منطق ما يُسمّى بـ«حلّ الدولتيْن». وكان جارد كوشنر قبل أشهر فقط، عندما أطلق «اتفاقيّات إبراهيم»، يعلن أنّ عهد إبلاء القضيّة الفلسطينيّة قد ولّى، وأنه يمكن حلّ الصراع العربي - الإسرائيلي من دون التطرّق إلى القضيّة الفلسطينيّة. وقد وافقه على نظرته هذه طغاة السعوديّة والإمارات والبحرين والمغرب. و«حلّ الدولتيْن» (والذي بات ركناً في مؤامرة السلام العربي) يفترض أنّ الوضع في إسرائيل حسن وأنّ هناك ديمقراطيّة إسرائيليّة يتمتّع فيها المواطنون بالحقوق والواجبات، ويحق لعربي (صهيوني صفيق) حتى أن يصل إلى المحكمة العليا، وأنه لن يتبقّى من حلّ للقضيّة إلا إقامة دويلة بسلطات بلديّة في الضفة والقطاع (الطريف أنه قبل أيّام فقط من اندلاع المواجهات في اللد وفي غيرها من مدن فلسطين 1948 أنّ الكاتب اللبناني في صحيفة الأمير محمد بن سلمان، «الشرق الأوسط»، حازم صاغية، كتب أنه من حقّ بنيامين نتنياهو أن يزهو بوضع الفلسطينيين في أراضي 1948). كانت كلّ إيديولوجيّة «الدولتيْن» تحتاج إلى فرضيّة تبنّي الشعب الفلسطيني في أراضي 1948 العقيدة الصهيونيّة والمواطنة الإسرائيليّة. لكن المشروع الصهيوني نفسه لا يعترف بذلك ولا بالمواطنة، ولا يستطيع. إنّ قانون القوميّة في عام 2018 اعترف بكثير من الصراحة بأنّ حقّ تقرير المصير هو حق حصري باليهود - هذا كان في أساس وعد بلفور طبعاً، والذي لم يمنح الفلسطينيّين إلا حقوقاً بلديّة في جمع القمامة وحراسة الشوارع. لم تكن الدولة الليبراليّة ذات الملامح التكافليّة (المزيّفة) في عام 1948، تقلّ عنصريّة وعدوانيّة عن دولة نتنياهو. لكن الدولة الصهيونيّة الحديثة لم تعد تكترث لمخاطبة الغرب بلغة تلطّف من عنفيّة وعنصريّة المشروع الصهيوني. إنّ مروحة الأحزاب السياسيّة الصهيونيّة مالت كثيراً نحو اليمين ومتوجّبات المنافسة الانتخابيّة تقتضي منافسة في العنصريّة والعدوانيّة. «حزب العمل»، الذي كانت «منظمة التحرير» تعوّل على فوزه في الانتخابات لم يعد يحصل على مقاعد تفوق عدد أصابع اليد الواحدة. «حزب العمل» كان أفضل جهاز دعاية لتقديم المشروع الصهيوني في الغرب، والترويج له بحجاب ليبرالي. و«حزب العمل» ليس إلا حزب نتنياهو لكن بخطاب موجّه إلى الغرب.

ووحدة الشعب الفلسطيني في الاحتجاجات الدائرة ستفرض على أجندة أيّ نقاش في الحلول المقترحة للقضيّة الفلسطينيّة مواجهة حقيقة نفور الشعب العربي (بعد كل هذه العقود) من الدولة اليهوديّة. ليس في مؤامرة «مشروع السلام العربي» أي نقطة تخاطب وضع الشعب العربي في داخل الخط الأخضر. النظام السعودي قدّم للدولة الصهيونيّة خدمة في إسباغ الشرعيّة على ديمقراطيّتها وعلى مزاعم الدولة الباطلة عن المساواة تحت الصهيونيّة. مشروع الدولتيْن اتضح زيفه أمام أنظار العالم: للمرّة الأولى باتت أصوات صهيونيّة في الغرب تلفت النظر إلى عدم رضى العرب عن وضعهم في داخل فلسطين 1948. والمشاركة العربيّة في الانتخابات عبر السنوات كانت خير معين للدعاية الصهيونيّة لأنها صوّرت النظام السياسي على غير حقيقته، تماماً كما أنّ المجالس التشريعيّة كانت تضمّ سوداً في جنوب أفريقيا تحت حكم الأبرتايد.

إنّ الفصل بين أفراد الشعب الفلسطيني وبين أهل فلسطين والعرب كان من عمل ياسر عرفات. والتقدّم في تحرير فلسطين يستدعي مراجعة للتاريخ الفلسطيني المعاصر ودور عرفات في نكبة أوسلو التي - بالنيابة عن الاحتلال - قضت على الثورة الفلسطينيّة المسلّحة التي انطلقت في الستينيّات من القرن الماضي. وتسوية أوسلو تطلّبت ليس فصل وفصل فلسطين 1948 عن الضفة والقطاع فقط، لكن هي تضمّنت أيضاً فصل الضفة عن القطاع (لا تلحظ أوسلو ربطاً سياسياً وكيانيّاً بين القطاعيْن) وفصل الضفة الفلسطيني عن الشعب العربي. يروي الياس الشوفاني في مذكّراته كيف أنّ العمل الطالبي العربي في العالم كان هو قائد النشاطات الفلسطينيّة، لكنّ أوامر آتت من ياسر عرفات (وبتنفيذ من السيّئ الذكر نفسه، محمود عبّاس) لقطع الصلة بين اتحادات طلبة فلسطين وبين اتحاد الطلبة العرب. كان هذا ضرورياً في السبعينيّات كي يستطيع ياسر عرفات تمرير سياساته التنازليّة والتسوويّة. إنّ المحنة الحاليّة هي من صنع ياسر عرفات: لم يترك في داخل فلسطين مؤسّسة فلسطينيّة واحدة باستثناء جهاز الشرطة والاستخبارات الذي أعدّه ودرّبه الجنرال الأميركي، دايتون، من أجل أن يتخصّص في التجسّس على الشعب الفلسطيني ورصد حركات المقاومة لوادها. وينسى البعض أنه في زمن عرفات كان يتمّ التنكيل بالمقاومين كي تكسب القيادة السياسيّة رضى الراعي الأميركي والشريك الإسرائيلي. لم يعد الشعب الفلسطيني يتحمّل ثمن التغطية على ياسر عرفات. إنّ تقويض تلك الأسطورة ضروري للتقدّم نحو الأمام وابتكار وسائل مقاومة جديدة - تماماً كما أنّ تقويض النظام اللبناني يتطلّب تقويض أسطورة رفيق الحريري.

(أ ف ب)

إنّ وضع الشعب الفلسطيني في داخل فلسطين 1948، لم يعد شأناً إسرائيلياً كما أرادته مسيرة أوسلو. من فضائح ياسر عرفات أنه كان أول زعيم فلسطيني يقبل بتشتيت الشعب الفلسطيني في القانون الدولي، والتخلّي عنه لمصلحة دولة العدو. إنّ تتبّع مسيرة ياسر عرفات في كتاب الشجاع، محمد دلبح، «ستون عاماً من الخداع»، يفضل مراحل دفن الثورة الفلسطينيّة بقرار من عرفات بالتشارك مع أنظمة الخليج التي تقود التطبيع اليوم. حتى في ما يُسمّى بمسيرة «السلام»، لم يعد ممكناً اليوم تجاهل وضع الشعب الفلسطيني في داخل الخط الأخضر. استفزّ الصعود الصهيوني العنصري المُجاهر حساسيات الشعب الفلسطيني المكبوت وأطلق هبّة لم تشهدها تلك المناطق منذ سنوات. قد ينظّر أحدهم أنّ ديمقراطيّة وصهيونيّة الدولة وقعتا في تناقض متزايد، لكن هذا التناقض كان في فلسفة التأسيس. إنّ الوثائق الجديدة من أوراق بن غوريون تكشف أنّ الزعماء الصهاينة المؤسّسين كانوا على علم بطبيعة النظام المُنشأ وأنه يحتاج إلى العنف المؤسّسي لفرضه على العرب - السكّان الأصليّين. لا يمكن على أيّ جندي العمل الوطني الفلسطيني بعد اليوم أن تفصل بين مواقع تواجد الشعب الفلسطيني. لا ياسر عرفات ولا غيره يستطيعون أن يبيعوا حقوق الشعب الفلسطيني بعد اليوم، خصوصاً أنّ ثمار البيع لم تكن إلا المزيد من القتل والضم والقمع.

ثانياً، دفن «اتفاقيّات إبراهيم». إنّ «اتفاقيّات إبراهيم» كانت طموحة للغاية. هي افترضت أنّ الوظائف والرفاهية هي كلّ ما يشغل الهم الفلسطيني والعربي الشبابي العام. الافتراض أوكل إلى دولة الإمارات - التي تشكّل عند كثيرين في الجيل العربي الجديد - مكان عمل مفضّلاً بسبب رفاهية نمط العيش فقط للمبسوطين الأبرز وليس للعمّال الأجانب. يعلم الذي يعمل في دبيّ أنّه بتواجده هناك يدخل في صكّ اجتماعي - سياسي مع الدولة، ومفاد هذا الصكّ: أنّ العربي يسلّم للدولة كرامته وحريّته ولسانه مقابل وظيفة عمل - وهي تختلف من حيث المرتّب بين شخص وآخر. لكن حتى الذي يدير شركة في دبي: له من انعدام الحقوق السياسيّة وحريّة التعبير والكرامة ما لدى العامل الآسيوي هناك. والدولة الإماراتيّة نموذج متطوّر وحديث للدولة البوليسيّة الجديدة التي ستكون مستدامة في كلّ الدول العربيّة عندما تكون لها قدرات ماليّة تسمح لها بإنشاء أجهزة المراقبة والتجسّس الإلكتروني التي تمدّه إسرائيل وأميركا لبعض الدول العربيّة. وفلسفة جاريد كوشنر اعتمدت مبدأ دفن القضيّة الفلسطينيّة: إنه يمكن تجاهل القضيّة الفلسطينيّة وهي تزول، لوحدها، عبر تقادم الزمن. والإفراط في الحديث عن مليارات في المعونات المالية لدول الطوق العربيّة لم يكن إلا محاولة لتخدير وشراء الجيل العربي الجديد.

الأنظمة العربيّة، المتمثّلة بجيل محمد بن سلمان ومحمد بن زايد ومحمد بن راشد، فاوضت دولة العدوّ وإدارة دونالد ترامب بالنيابة عن الجيل العربي الجديد. هؤلاء لا يعرفون من الجيل العربي الجديد إلا هؤلاء اللبنانيّين المتذلّلين على أعتابهم والذين يعملون في الإعلام والأعمال والطباعة في دبي والرياض. اقتنع هؤلاء بأنّ القضيّة الفلسطينيّة قد ماتت. وردّد هذه المقولة صهاينة الغرب، بمن فيهم الكاتب في صحيفة «نيويورك تايمز»، توماس فريدمان. فريدمان نفسه كان قد طبّل لـ«اتفاقات إبراهيم» واعتبرها إنجازاً لاستقرار المنطقة. لكنّ الرجل معروف بأنه يستطيع أن يأخذ الموقف ونقيضه: هو أيّد الحرب الأميركيّة ضدّ العراق، وعندما ثبت فشلها وتحوّل الرأي العالم الأميركي ضدّها، عاد وانتقدها وكتب في ضرورة إنهائها (مع ضرورة الحفاظ على قوّات احتلال أميركيّة لتدريب القوات العراقيّة - لا يسأل أحد عن فائدة التدريب الأميركي للجيوش العربيّة: الجيش اللبناني لم يقو على مواجهة «داعش» و«النصرة» في عرسال، والجيش العراقي تراجع أمام تقدّم عصابات «داعش» فيما الجيش الأفغاني الذي أنفقت عليه أميركا المليارات ينهار أمام تقدّم «طالبان»). وفريدمان بعد أحداث الأيام الماضية عاد وكتب - متناسياً أننا نذكر ما كتبه من قبل - أن الذين افترضوا أنّ القضيّة الفلسطينيّة قد ماتت هم مخطئون. ستعود القضيّة الفلسطينيّة إلى الواجهة، عن جديد. وليس هناك ما يرفض القضيّة الفلسطينيّة على الأجندة الدوليّة إلّا العنف السياسي: كانت انطلاقة الثورة الفلسطينيّة في الستينيّات العنصر الأساس في ترسيخ كلمة فلسطيني في الذهن الغربي والعالمي. ومع كل المراجعات والإدانات للسلاح الفلسطيني، فإنه هو - وليست الخطابة أو الشعر أو قرع الطناجر، وقرع الطناجر وسيلة تغيير ثوري مُحبّذة في لبنان - الذي أوصل عرفات إلى الأمم المتحدة. تستطيع أنظمة التطبيع أن تطبّع، لكن نتائج التطبيع باتت واضحة. مضى النظام الإماراتي بعيداً (أكثر من أي نظام تطبيعي عربي آخر) لكنه لم يحصد، عربياً، إلّا نتائج سياسيّة سلبيّة، كما أن دول الغرب باتت تدرك أنه لا يمكن لهذا النظام - خصوصاً بعد التطبيع - أن يبيع القضيّة الفلسطينيّة للغرب. أما محمد بن سلمان، فقد أدّت أحداث الأيام الماضية إلى تأجيل مشروعه للتطبيع مع إسرائيل. ومع حاجة محمد بن سلمان إلى رعاية من جو بايدن كي يصل إلى العرش، فإن قدرته على التطبيع باتت محفوفة بمخاطر داخليّة. وقد أظهرت صفحات مواقع التواصل في السعوديّة والإمارات، خصوصاً في ترانيميات الهاشتاغات في الأيام الأولى، أنّ القضيّة الفلسطينيّة ما زالت أولويّة في الشعوب الخاضعة لحكم الطغاة التطبيعيّين. لكنّ النظاميْن استدركا الأمر بسرعة وأوكلا مهمّة تغيير ترانيميات الهاشتاغات كي تصبح «فلسطين ليست قضيّتنا» في المرتبة الأولى في البلدين (لكنّ خبيراً بريطانياً أكّد لي أنّ ذلك تمّ من عمل حسابات الـ«بوت» وليس من صنع حسابات بشريّة).

ثالثاً، إطاحة محمود عبّاس. كيف يمكن للشعب الذي صدّر كلمة فدائي إلى كلّ لغات العالم أن يقبل برئيس عصابة أوسلو، محمود عبّاس، رئيساً (غير منتخب) عليه. إنّ الطريق إلى تحرير فلسطين، قبل المرور في العواصم العربيّة، بحسب ما دعا عن حقّ، جورج حبش، يجب أن تمرّ أولاً في رام الله. إنّ سلطة أوسلو عقبة رئيسة أمام تنظيم عمل فلسطيني مقاوم. وكلّ التنظيمات الفلسطينيّة، بما فيها الجبهة الشعبيّة لتحرير فلسطين، متواطئة مع نظام أوسلو. ويعتمد نظام أوسلو على إخضاع وتسكين المعارضة الفلسطينيّة الداخليّة عبر منح كلّ التنظيمات فتات التمويل المشوه لمنظمة التحرير. وبناءً عليه، ترى قادة للجبهة الشعبيّة يجتمعون تحت إمرة محمود عبّاس الذي يمثّل في شخصه ومسيرته ودوره، النقيض الأبرز لكل نضالات جورج حبش) وهم يخاطبونه بلقبه المفضّل: «الأخ سيادة الرئيس أبو مازن»). لم يقتل محمود عبّاس جذوة النضال والثورة في الشعب الفلسطيني الذي تستمرّ ثورته على مدى أكثر من قرن، لكن إمكانيّة إطلاق ثورة فلسطينيّة جديدة مستحيلة بوجود سلطة أوسلو. إطاحة سلطة أوسلو تكون كلمة السرّ لإطلاق مقاومة فلسطينيّة جديدة ومتجدّدة تتعلّم من أخطاء الماضي المُرّ.

لكنّ الإطاحة بنظام أوسلو لوحده لا ينفع. الصكّ: أنّ العربي يسلّم للدولة كرامته وحريّته ولسانه مقابل وظيفة عمل - وهي تختلف من حيث المرتّب بين شخص وآخر. لكن حتى الذي يدير شركة في دبي: له من انعدام الحقوق السياسيّة وحريّة التعبير والكرامة ما لدى العامل الآسيوي هناك. والدولة الإماراتيّة نموذج متطوّر وحديث للدولة البوليسيّة الجديدة التي ستكون مستدامة في كلّ الدول العربيّة عندما تكون لها قدرات ماليّة تسمح لها بإنشاء أجهزة المراقبة والتجسّس الإلكتروني التي تمدّه إسرائيل وأميركا لبعض الدول العربيّة. وفلسفة جاريد كوشنر اعتمدت مبدأ دفن القضيّة الفلسطينيّة: إنه يمكن تجاهل القضيّة الفلسطينيّة وهي تزول، لوحدها، عبر تقادم الزمن. والإفراط في الحديث عن مليارات في المعونات المالية لدول الطوق العربيّة لم يكن إلا محاولة لتخدير وشراء الجيل العربي الجديد.

الأنظمة العربيّة، المتمثّلة بجيل محمد بن سلمان ومحمد بن زايد ومحمد بن راشد، فاوضت دولة العدوّ وإدارة دونالد ترامب بالنيابة عن الجيل العربي الجديد. هؤلاء لا يعرفون من الجيل العربي الجديد إلا هؤلاء اللبنانيّين المتذلّلين على أعتابهم والذين يعملون في الإعلام والأعمال والطباعة في دبي والرياض. اقتنع هؤلاء بأنّ القضيّة الفلسطينيّة قد ماتت. وردّد هذه المقولة صهاينة الغرب، بمن فيهم الكاتب في صحيفة «نيويورك تايمز»، توماس فريدمان. فريدمان نفسه كان قد طبّل لـ«اتفاقات إبراهيم» واعتبرها إنجازاً لاستقرار المنطقة. لكنّ الرجل معروف بأنه يستطيع أن يأخذ الموقف ونقيضه: هو أيّد الحرب الأميركيّة ضدّ العراق، وعندما ثبت فشلها وتحوّل الرأي العالم الأميركي ضدّها، عاد وانتقدها وكتب في ضرورة إنهائها (مع ضرورة الحفاظ على قوّات احتلال أميركيّة لتدريب القوات العراقيّة - لا يسأل أحد عن فائدة التدريب الأميركي للجيوش العربيّة: الجيش اللبناني لم يقو على مواجهة «داعش» و«النصرة» في عرسال، والجيش العراقي تراجع أمام تقدّم عصابات «داعش» فيما الجيش الأفغاني الذي أنفقت عليه أميركا المليارات ينهار أمام تقدّم «طالبان»). وفريدمان بعد أحداث الأيام الماضية عاد وكتب - متناسياً أننا نذكر ما كتبه من قبل - أن الذين افترضوا أنّ القضيّة الفلسطينيّة قد ماتت هم مخطئون. ستعود القضيّة الفلسطينيّة إلى الواجهة، عن جديد. وليس هناك ما يرفض القضيّة الفلسطينيّة على الأجندة الدوليّة إلّا العنف السياسي: كانت انطلاقة الثورة الفلسطينيّة في الستينيّات العنصر الأساس في ترسيخ كلمة فلسطيني في الذهن الغربي والعالمي. ومع كل المراجعات والإدانات للسلاح الفلسطيني، فإنه هو - على المقاومة الفلسطينيّة الجديدة أن تعود إلى الصفر. هناك حركات مقاومة حاليّة لكنّها تعاني إما من الترهّل أو من الفساد أو من ترسّبات الحكم في السلطة في غزة أو من كل هذه العوامل مجتمعةً. شرطة القمع الفلسطينيّة لا يمكن أن تستمرّ في مهامها إذا ما تصاعدت انتفاضة الشعب الفلسطيني. ونظام أوسلو قائم على الفساد والمخاصصة (بين الشخصيّات والتنظيمات الفلسطينيّة) والقمع المباشر لمنع الشعب الفلسطيني من الثورة على الاحتلال وعلى أدوات الاحتلال. طبعاً، هناك أيضاً نظام من التطويع غير القسري القائم عن انتشار الـ«إن جي أوز» التي تستقطب النخب المثقفة والمتعلّمة. هؤلاء عماد أساسي في تسكين وتخدير الشعب الفلسطيني، وتغيير خطابه جذرياً. تقرأ كلمات أيادي السرّاج في مقالة لنيكولاس كريستوف، في الـ«نيويورك تايمز»، فتظنّ أنك تقرأ لمسؤول في وزارة الخارجيّة الأميركيّة وليس لشخص يعيش آلام شعبه في غزة. يقول السرّاج للصحيفة إنّ الصراع يعزّز المتطرّفين في الطرفيْن، وإنّ أحدهما يحتاج إلى الآخر. هذه الفكرة عن التوازي في المعاناة، وحتى في التطرّف، تخدم الدعاية الصهيونيّة في الغرب لأنها في المحصّلة تخفّف في تصوير معاناة شعب فلسطين وتعظّم من المعاناة المفترضة للمحتلّ.

القضيّة الفلسطينيّة لم تمت، لكنّها تمرّ بمراحل مختلفة. الشعب الفلسطيني أشعل ثورة مسلّحة، في عام 1936، وهي استمرت على مدى ثلاثة أعوام وكان الفلاحون عمادها. لكنها تعرّضت للتآمر من قبل الهاشميّين والأنظمة العربيّة الخاضعة للاحتلال، ومن قبل العائلات الفلسطينيّة المتعاونة مع الاحتلال البريطاني، مثل النشاشيبي. لكن الشعب الفلسطيني مرّ في استكانة فظيعة بعد النكبة بالرغم من محاولة النظام الناصري مدّ يد العون لحركة مسلّحة في غزة. ومع كل فصل من تاريخ القضية الفلسطينيّة الطويل، يوهم العدوّ نفسه أنّ هذه الاستكانة التي يمرّ بها شعب فلسطين ستكون الأخيرة، أو الضربة القاضية، لكنّ الشعب الفلسطيني يفاجئ عدوّه مرّة تلو أخرى.

والصراع الأخير مهم استراتيجيّاً في المنظور التاريخي. قدرة المقاومة في غزة على إطلاق الصواريخ، بالرغم من صعوبة الحركة والحصار في غزة، متقدّمة جداً عن وضع المقاومة الفلسطينية والحركة الوطنيّة في لبنان قبل عام 1982. لم تكن قدرة المقاومة في لبنان على إزعاج العدوّ تتعدّى إطلاق صواريخ الـ«كاتيوشا» التي هي العاب ناريّة مقارنة بالصواريخ التي في حوزة مقاومة غزة، حتى لا نتحدّث عن القدرات الهائلة للمقاومة في لبنان. يعلم العدوّ أنّ تقدّمه العسكري وتفوّقه الجوّي يصبحان أقلّ قوّة إذا ما قيسا بتطوّر قدرات المقاومة الفلسطينيّة واللبنانيّة، وبتطوّر المقاتل الشجاع في لبنان وغزة. شبح الخوف من الجيش الإسرائيلي الذي ترسّخ في عام 1948 وتعزّز في حرب 1967 راح إلى غير رجعة. الخوف هو عامل في مصلحة المقاومة العربية، لأنّ الجندي الإسرائيلي الجديد لا يقيس الحرب المقبلة بانتصارات 1967 أو 1948، وإنّما بهزيمة حرب تموّز وبفشل الحربيْن الأخيرتيْن في غزة. هذه الحقائق ليست عصيّة على الاستيعاب عند جيش العدوّ، وهي - لا أبراج مراقبة شوالات البطاطا وأكياس «برسيل» على الحدود الشرقيّة - التي تمنع العدوّ من الاعتداء على لبنان، مع أن الاعتداء على لبنان كان ركناً ثابتاً في سياسته نحو لبنان منذ 1948. المقاومة التي هزمت إسرائيل هي التي تردع إسرائيل، وليس - بحسب ما قال الخبير اللبناني، محمد رمّال، لصحيفة الشرق الأوسط» - انتشار الجيش اللبناني في الجنوب.

* كاتب عربي - حسابه على تويتر @asadabukhalil

مئة عام من المعاناة والصمود والمقاومة

سعد الله مزرعاني *

الفصل الراهن من حرب الإبادة ومن الإرهاب اللذين يتعرّض لهما الشعب الفلسطيني، ومن ثمّ، الكفاح المرير الذي يخوضه، لم يبدأ، فقط، منذ تأسيس الكيان الصهيوني (بالاغتصاب والقهر والمجازر والطرد...) على أرض فلسطين، قبل أكثر من سبعة عقود. الواقع أنّ معاناة وكفاح هذا الشعب قد بدأ قبل أكثر من مئة عام. على سبيل المثال، فإنّ المؤتمر الرابع الذي عقدته الحركة القومية العربية الفلسطينية في مدينة القدس، في 25 آب 1921، قد قرّر إرسال وفد إلى بريطانيا (الدولة المنتدبة) للبحث في تشكيل «حكومة وطنية» في فلسطين لمواجهة «وعد بلفور» وحملة الهجرة ونشاط العصابات التي كانت تنظمها الحركة الصهيونية. قبل ذلك بحوالى سنة كان قد وقع صدام دامٍ بين فلسطينيين ويهود صهاينة بمناسبة عيد الأول من أيار سقط فيه 95 قتيلاً من الطرفين. وزير المستعمرات آنذاك، ونستون تشرشل الذي استقبل الوفد، رفض تشكيل حكومة وطنية «لأنها تعرقل صك الانتداب وإقامة الوطن القومي اليهودي في فلسطين» (إميل توما: «ستون عاماً على الحركة القومية الفلسطينية»).

قبل شرعنة الكيان الصهيوني عام 1947، لم تهدأ الصدامات بين الشعب الفلسطيني والصهاينة ومحتضني مشروعهم المنتدبين البريطانيين. شهدت العقود الثلاثة المنصرمة أشكالاً من الإضرابات والانتفاضات، كان أبرزها عام 1925 ضدّ زيارة الوزير البريطاني بلفور صاحب الوعد المشؤوم الشهير. تمرُّد العمّال الفلسطينيين حصل عام 1929. أمّا الإضراب الشهير عام 1936 فحصل في نطاق حركة نضالية واسعة ضد الخطر الصهيوني المتنامي في استقدام مئات آلاف المهاجرين وفي الاستيلاء على مزيد من الأراضي من خلال الشراء والضغوط والإغراءات، ودائماً، برعاية نشيطة من سلطة الانتداب.

في مجرى كفاحه المرير والمديد، كانت الانتفاضات المتلاحقة هي أحد أبرز الأساليب التي عبَّر من خلالها الشعب الفلسطيني ولا يزال عن استشعاره تنامي خطر الصهاينة وداعميهم على وجوده وحقوقه ومصيره. هذا ما حصل منذ حوالى أسبوعين عندما استأنفت السلطات الرسمية الإسرائيلية خطة طرد الفلسطينيين من بيوتهم وتأجيج وحماية عدوانية قطعان المستوطنين في استفزازاتهم الخطيرة ضد المسجد الأقصى. اندرج هذا التصعيد، أيضاً، في نطاق جهد ونهج بنيامين نتنياهو لتعزيز فرص عودته إلى رئاسة الحكومة من خلال استمالة القطاعات الأكثر تطرفاً بين الناخبين الإسرائيليين. هو بذلك حاول، أيضاً، تجاوز نكسته بعدم انتخاب حليفه دونالد ترامب لولاية جديدة، كذلك لدفع الإدارة الأميركية الجديدة لدعم مشروعه وسياساته، وبالتالي، عودته إلى رئاسة الحكومة ما يؤجل محاكمته بتهم الفساد حتى إشعار آخر!

مرةً جديدة، استشعر المقدسيون، على وجه الخصوص، الخطر فبادروا إلى مواجهة السلطة وقطعان المستوطنين في حي «الشيخ جراح» كما في باحات ومحيط المسجد الأقصى. هكذا اندلعت شرارة انتفاضة جديدة ما لبثت أن شملت، تقريباً، وبشكل مدهش، كل فلسطين وكل الفلسطينيين.

فاجأت الهبة الفلسطينية الشعبية (الأنضج حتى الآن)، والتي هي ثمرة احتقان ورفض متعاظمَيْن بالمخاطر والاستفزازات والانتهاكات والجرائم والتطبيع والخيانة... قادة العدو. فاجأتهم، خصوصاً، بجرأتها وشموليتها وتنوّع أساليب النضال فيها. فاجأتهم غزّة بالصواريخ البعيدة المدى والكثيفة والمحمية بإتقان وتنسيق بين الفصائل. ما أدى إلى شلل الحياة في معظم المرافق الحيوية للكيان الصهيوني. فاجأت الانتفاضة، أيضاً، الشريك العربي (الخليجي خصوصاً) في «صفقة القرن». حلفاء الصهاينة من العرب الذين هرولوا مسرعين لتطبيع علاقاتهم مع العدو ونسج حلف معه يتوخون من ورائه الحماية. خسرت تجارتهم مجدداً بعدما «طحّلوا» وفشل غزهم لليمن بالحديد والنار. هؤلاء يبحثون الآن عن «تطبيع» من نوع آخر مع كل من إيران وسوريا، الدولتين الأساسيتين في محور «الممانعة»، سعياً لتفادي هزيمة صافية!

ليس الأمر على هذا النحو في الضفة الأخرى من الصراع. لقد تبيّن أنّ وراء صمود ومقاومة وتطور قدرات غزّة القتالية، مثلاً، دعماً لا يمكن إخفاؤه من قبل معارضي المشاريع الأميركية الصهيونية الرجعية. وهو جزء من علاقة متنامية بين القطاع المحاصر وهؤلاء، أثمرت تعاوناً بالخبرات والمعدات والمساعدات المتنوعة التي تؤشر إلى وجود نهج وليس مجرد علاقات تكتيكية تمليها مصالح آنية متحوّلة ومؤقتة. في مجرى ذلك، تمّ تجاوز الخلافات السابقة التي برزت في بداية «الربيع العربي» خصوصاً مع حركة «حماس»، ليحل مكان ذلك نهج ثابت في العلاقة وفي التوجهات بشأن المعركة مع العدو الصهيوني على وجه الخصوص.

لا شك في أنّ إزاحة ترامب من البيت الأبيض قد ألقت بظلالها على مجمل المشهد في المنطقة عموماً وفي الساحة الفلسطينية خصوصاً. إدارة جو بايدن المنحازة مبدئياً للعدو الصهيوني، ككل الإدارات الأميركية، لم تبلور بعد سياساتها في المنطقة إلا ما تعلّق بالتخلي عن مشروع «صفقة القرن» الذي تيتّم بعد خسارة صاحبه موقعه الرئاسي في واشنطن. لكن في واقع الأمر، النفوذ الأميركي قبل ترامب وبعده، يتراجع بشكل مطّرد في المنطقة. الانسحابات هي أحد المؤشرات وليست الوحيدة أو حتى الأهم. ذلك يعني توفر مزيد من فرص التقدم لمصلحة شعوب المنطقة عموماً والشعب الفلسطيني، في الأساس. الانتفاضة الفلسطينية عزّزت هذه الحقيقة أكثر من السابق. هذا يُملي على الجانب الفلسطيني تجاوز الانقسام الذي تخطّته الانتفاضة بشموليتها وعفويتها وتصميمها، إلى وضع تتقدم فيه أسباب التعاون، وهي كثيرة، على مشاكل الخلاف وهي أقل أهمية. إن رأب الصدع بين القيادة السورية و«حماس» هو مثال على إمكانية التجاوز رغم أن خلافهما في شقٍّ منه عقائدي، وفي شق أكبر، سياسي على المستويين السوري الداخلي وعلى مستوى المنطقة. هذا ينطبق، أيضاً، على كل القوى المعادية للمشاريع الاستعمارية الصهيونية المعنة تدميراً وتفتيتاً للمنطقة بهدف إخضاعها والهيمنة عليها. هذه القوى مطالَبة بالتشكّل في مشروع تحرري شامل وجامع ومتحرّر من الفئويات والعصبيات الطائفية والمذهبية.

إن برنامجاً كفاحياً، يجمع بين كل أساليب النضال ضمن أولويات وإطار، هو المطلوب. وهو، فقط ما يليق بانتفاضة وتضحيات وبطولات شعب فلسطين.

* كاتب وسياسي لبناني

قضية اليوم

منذ اعتقاله في السعودية قبل أكثر من شهر، لم تُعلن سلطات الرياض سبب توقيفه، ولا سمحت له بتوكيل محامٍ للدفاع. أشاع النظام في الرياض «خبريات» كثيرة عن سبب التوقيف. لكن مصادر خاصة أكّدت لـ«الأخبار» أن اعتقال سمير صفير جرى على خلفية مواقف سياسية سبق أن عبّر عنها في مقابلة تلفزيونية

(أرشيف)

اعتقال سمير صفير في «مملكة الخير»: الجريمة هي التعبير!

رضوان مرتضى

مرّ أكثر من شهر على اعتقال قوات الأمن السعودية الملحَن اللبناني سمير صفير من دون أن يُعرَف مصيره. لم تكشف مملكة آل سعود عن الاتهامات الموجّهة ضده حتى، تاركة المجال لبضعة مغرّدين لفبركة روايات كاذبة عن تورطه في تهريب المخدرات وحفلات مجون واتهامات أخرى على شاكلة الخبر العاجل الذي نشرته قناة «العربية» عن وجود

> لم تُجب الخارجية السعودية واستخباراتها على استفسارات الخارجية والاجهزة الامنية اللبنانية بشأن صفير

معلومات عن تورط وزير الخارجية اللبناني شربل وهبة في تهريب المخدرات، قد يخجل للبعض أنها نكتةٌ سمجة، لكنها تُعبر عن عقلية تُبيح فبركة أي جرم لكل شخص تعتبره المملكة السعودية مسيئاً لها، من دون أي رادع.

في قضية صفير وفي غيرها، ورغم أنّ أبسط حقوق الإنسان تفرض أن تُبلَغ عائلة المعتقل بالاتهامات المساقة ضده، إلا أنّ ذلك مُحرّمٌ في بلاد الحرمين الشريفين. ليس لدى السفير السعودي في لبنان وليد البخاري أي معلومات. كما أنّ الاستخبارات السعودية رفضت التجاوب مع أسئلة الأجهزة الأمنية اللبنانية بخصوص الملحَن المخطوف. رسائل واستفسارات ضباط الأجهزة الأمنية اللبنانية قوبلت بالتكتّم: «محظورٌ علينا تزويدكم بأي معلومة بشأنه». كذلك تمنّع القنصل والسفير السعوديان عن الإجابة على هذا السؤال رغم مراجعتهما. وعلمت «الأخبار» أن وزير الخارجية شربل وهبة كان قد بعث بمذكرة استفسارية إلى وزير الخارجية السعودي فيصل بن فرحان وإلى كل من السفير اللبناني في الرياض والقنصل في جدة، إلا أن الخارجية السعودية لم تُجب. وقد ردّ السفير اللبناني في الرياض بأنّ الأمن السعودي سمح لصفير بالتواصل مع زوجته، لكنه لا يزال ممنوعاً من توكيل محامٍ وممنوعٌ عليه الزيارات ريثما ينتهي التحقيق.

أمام هذه السرية المطلقة قد يعتقد كثيرون أنّ صفير ارتكب جناية لا تُغتفر أو تورط في جريمة تمسّ بالأمن القومي أو انضوى تحت لواء جماعة إرهابية تخطط للقيام بتفجيرات في أرض نجد، إلا أنّ معلومات «الأخبار» بيّنت أنّ صفير معتقلٌ في السعودية لارتكابه جرم التعبير وفعل القول. وفي هذا السياق، تكشف مصادر خاصة لـ«الأخبار» أنّ قوة من الجهاز الأمني السعودي المختص بمكافحة الإرهاب - مكتب الإرهاب اعتقلت سمير صفير في 19 نيسان عند الساعة الثانية بعد الظهر. وبحسب المصادر، فقد عمد الأمن السعودي إلى سحب الكاميرات المحيطة بمنزل صفير وأوقفوا حارس المنزل ريثما يصل «المطلوب» ليُصار إلى اعتقاله في اليوم نفسه. كما أنّ آخر تغريدة لصفير كُتبت في ذلك اليوم.

وعلمت «الأخبار» أنّ صفير اتّصل بزوجته مرتين. الأولى فجر 20 نيسان أي في اليوم التالي لتوقيفه، طمأنها إلى حاله وأبلغها أنّ عناصر الأمن زوّدوه بأدويته، وأنه موجود في سجن الذهبان، قبل أن يُقفل خط الاتصال. أما المرة الثانية فكانت قبل عشرين يوماً من اليوم بتمام الواحدة فجراً أيضاً. مدة الاتصال كانت دقيقتين، سألها فيها عن حالها وإن كانت لا تزال في المنزل في السعودية، ثم أخبرها أنه موجود في السجن بسبب شيء كتبه وقاله.

لم يمسّ صفير الذي «يُقدّس الرئيس ميشال عون» كما يقول، بالذات الملكية السعودية، إنما تكشف المصادر أنّ الأمن السعودي ضبط لصفير مواقف لم تُعجب «أولي الأمر». بدأت القصة بعد نشر صفير بمغردين سعوديين إلى البحث في أرشيف صفير لتُطلقوا هاشتاغ #طرد_سمير_صفير_مطلب. أطلقَ هذا الهاشتاغ في كانون الثاني من العام الجاري. وقد نكش هؤلاء فيديو لصفير أثناء مقابلة قديمة على قناة otv يتهكّم فيها على حكام السعودية. يومها قال صفير معلقاً على حرب اليمن بمطالبة الرياض بإطعام الجياع بدلاً من قصف الأبرياء، واستهزأ بالسعودية لناحية معرفة طياريها بقيادة الطائرات. وعلمت «الأخبار» أنّ لبنانيين مقيمين في السعودية على خلاف مع صفير يقفون وراء نبش تغريداته ومقابلاته السابقة لتأليب الرأي العام السعودي ضده لترحيله.

كذلك عُثر له على مواقف له تُدين التطبيع وتدعم المقاومة وحزب الله. كما أن هناك أكثر من منشور له يعلن عن محبته للسيد حسن نصر الله وحزب الله. هذه المواقف في «مملكة الخير والمحبة» تعتبر مسّا بالأمن القومي السعودي تستوجب عقاباً كبيراً. لذلك فقد وُضع في سجن المباحث العامة (الذهبان) في جدّة على خلفية تغريداته ومواقفه التي اعتُبرت معادية للسعودية، علماً أنه مقيمٌ في السعودية منذ نحو 9 أشهر بشكل متواصل. كما أنه بدأ يتردد إليها منذ نحو خمس سنوات حيث افتتح مطعماً هناك.

انقطعت أخبار صفير عن عائلته منذ أكثر من عشرين يوماً. لم يعاود الاتصال بها بعد اتصاله الثاني. ولم يعرف أفراد العائلة شيئاً عن مصيره بعد. ففي بلاد قطع الرؤوس في الساحات العامة يُحظَر على أحدٍ السؤال عن موقوف لأ يُعرف جرمه. حتى السؤال يُعدّ جريمة هناك.

تقرير

علماء عكّار يراسلون دريان بالبريد: استقلْ

لم تُترجم الوعود التي سمعها علماء عكّار من مفتي الجمهوريّة ورؤساء الحكومات. الوضع مازال على حاله: لا رواتب شهريّة ولا تأمين صحيا يقيهم شرّ العوز. إزاء هذا الواقع، وجّهوا رسالة إلى «سماحته» طالبين منه تقديم استقالته

لينا فخر الدين

خلال أكثر من 3 سنوات لم يترك مشايخ عكار باباً إلّا طرقوه. البداية كانت من دار الفتوى حينما وعدهم مفتي الجمهورية الشيخ عبد اللطيف دريان خيراً، وعلى مسامع أعضاء المجلس الإسلامي الشرعي الأعلى، تلا رئيس «لجنة متابعة حقوق علماء عكار» الشيخ محمّد اسكندر بياناً مطوّلاً عرض فيه مشكلة الإجحاف اللاحق بالجهاز الديني التابع لأوقاف عكّار، والذي يضم أكثر من 850 شيخاً يعملون كموظفين رسميين في 350 مسجداً في المنطقة كائمة ومدرّسين وخطباء وخدمة... من دون مقابل.

4 أشهر مضت على هذا الاجتماع من دون أيّ تغيّر يُذكر. فما كان من المشايخ إلّا أن تداعوا إلى اعتصام أمام دار الفتوى في بيروت لحرق مفتي الجمهورية الشيخ عبد اللطيف دريان خيراً، وعلى مسامع أعضاء المجلس الإسلامي الشرعي الأعلى، تلا رئيس «لجنة متابعة حقوق علماء عكار» الشيخ محمّد اسكندر بياناً مطوّلاً عرض فيه مشكلة الإجحاف اللاحق بالجهاز الديني التابع لأوقاف عكّار، والذي يضم أكثر من 850 شيخاً يعملون كموظفين رسميين في 350 مسجداً في المنطقة كائمة ومدرّسين وخطباء وخدمة... من دون مقابل.

بواجباته المادّية تجاه دار الفتوى». أغلقت أبواب «بيت الوسط» في المشايخ إلّا أن تداعوا إلى اعتصام أمام دار الفتوى في بيروت لحرق مفتي الجمهورية الشيخ عبد اللطيف دريان خيراً، وعلى مسامع أعضاء المجلس الإسلامي الشرعي الأعلى، تلا رئيس «لجنة متابعة حقوق علماء عكار» الشيخ محمّد اسكندر بياناً مطوّلاً عرض فيه مشكلة الإجحاف اللاحق بالجهاز الديني التابع لأوقاف عكّار، والذي يضم أكثر من 850 شيخاً يعملون كموظفين رسميين في 350 مسجداً في المنطقة كائمة ومدرّسين وخطباء وخدمة... من دون مقابل.

سفراؤها تحديد مواعيد للقائهم. وكان السفراء يقرأون رسائل المشايخ المرسلة عبر «واتس اب» من دون الإجابة عليها.

خلال سلوكهم «درب الجلجلة»، كان العلماء يعودون دوماً إلى دريان الذي «حاول إسكاتنا بكرتونة إعاشة»، بحسب اسكندر الذي رفض تسلّمها رغم أن المفتي قال له «إنّ هذه الإعاشة تحتاج إلى الكثير من تقبيل الأيادي لتصل إلى دار الفتوى»!

اللقاء الأخير بين دريان والعلماء كان قبل نحو شهر ونصف شهر. أبلغهم المفتي خلاله، بالفم الملآن، أنّه ليس مسؤولاً عن وضعهم المالي باعتبار أن مسؤولية هذا الملف تقع على عاتق مفتي عكار. دريان نفسه الذي رفض سابقاً أن يلجأ إلى السفارات العربية كي «لا أُحسب على طرف»، وعد المشايخ عبر عريضة بأن الفرج سيكون على يد إحدى الدول العربية التي وافقت على تقديم منحة لمدى الحياة للعلماء، سيُعلن عنها خلال شهر رمضان.

انتهى رمضان ولم يأتِ «عيد العلماء»، فخلصوا إلى نتيجة واحدة: «لم يعد بمقدورنا تصديق أحد». ولذلك، قرروا خطوات تصعيدية كانت أولاها أمس بتوقيعهم رسالة تطالب دريان بالاستقالة لعجزه على مدى ثلاث سنوات عن تحقيق مطالبهم.

بحسب المعلومات، ستصل الرسالة الى المفتي الاثنين عبر البريد المضمون، وبالتالي، لن يكون أمامه سوى تسلّمها شخصياً والتوقيع على الإيصال.

يأمل العلماء أن يتجاوب دريان مع مطلب الاستقالة باعتبار أنّ معظم علماء الطائفة السنّية يريدون ذلك، ولو أنّهم لا يُجاهرون به. يعلم مشايخ عكّار أنّ البريد سيُرمى على الأغلب في أدراج عائشة بكّار، تماماً كمطالبهم، فخلصوا إلى نتيجة واحدة: هذا لن يكون الأخير، وأنهم بصدد التحضير لتحرّكات تصعيدية قريبة.

> أكثر من 850 شيخاً يعملون كموظفين رسميين في عكار من دون مقابل

مقالة

اليرزة كلتا القبلتين

جمال غصن

تحتلّ اليرزة جزءاً مهماً من ذاكرة من عايشوا الحرب الأهلية اللبنانية والسِّلم الطائفي (نسبة إلى الطوائف) الذي تلاها في تسعينيات القرن الماضي. فبلدة اليرزة التي تقع على أول تلة شرقاً من بيروت على طريق الشام هي مقرّ وزارة الدفاع وقيادة الجيش، التي تشكّل مراكز سيادية في أي وطن، وإن كان منتقص السيادة. وهكذا كانت حال لبنان في أيام الحرب حيث كانت تتناتشه ميليشيات وجنود احتلال وقوات تردع بين أهل الوطن.

لكن في يوم خريفي في تشرين الأول من عام 1990، انتهت الحرب الأهلية بدخول الجيش العربي السوري إلى اليرزة وبعبدا التي تتشاركها التلة ذاتها وأندحار قيادة الجيش اللبناني إلى مبنى السفارة الفرنسية التي كانت تطلق مبادراتها الإنقاذية من الحازمية في حينها. وافتتح ذلك الحقبة الطائفية (نسبة إلى مدينة الطائف العربية السعودية) بعد نفي آخر المعترضين على اتفاق إنهاء الحرب وتقاسم الغنائم بين زعمائها برعاية ما بات يُعرف بالـ«سين - سين». مذّاك باتت اليرزة محطّة إجبارية على طريق رئاسة الجمهورية اللبنانية إلى درجة أنه حتّى من قنَعَ في قبوها سجينَ جرائم حربٍ يحلم اليوم بتتويج مسيرته السياسية في قصر بعبدا.

مع الوقت، غاب ذكر اليرزة اليومي عن «فلاشات» الراديو الإخبارية التي كانت تنقل إحداثيات القصف المدفعي وعيارات القذائف إلى المستمعين المختبئين في الملاجئ (كان يُشاع في ملجئنا أن قذيفة الـ 155 مليمتراً أعلى صوتاً عند الانطلاق من نظيرتها الأكبر حجماً والتي كانت لفّة خصرها تبلغ 240 مليمتراً، لكن لم يتسنّ لي التأكد من هذه المعلومة). والراديو لمن لم يجايله هو متلقّي إرسال إلكتروني لا يقوم إلّا بوظيفة واحدة شبيهة بالوظيفة التي يقوم بها تطبيق «كلبهاوس» الرائج حالياً. فهو يلتقط موجات مبثوثة في الأثير ويترجمها أصواتاً يتحسّسها الإنسان سمعاً، وتختلف الأصوات من موجةٍ إلى أخرى وإن كان الضجيج واحداً.

حتى لما أعادت ثورة 14 آذار، السيادية بامتياز، أزرة اليرزة في الثمانينيات من منفاه وأخرجت نزيل سجنها في التسعينيات من زنزانته، لم تعُد تلة اليرزة لتشغل موقعها السيادي إذ استبدلتها روابٍ عامليّة تستبطن من السيادة ما يكفي دولاً. لكن الصراع الإقليمي الكبير الذي تلا الغزو الأميركي للعراق والاحتلال العسكري المباشر في المشرق العربي، ومحاولة تغليب «سينٍ» على «سينٍ» لم يأتِ بالنتائج المرجوّة، فها هي اليرزة تعود من جديد لتحتل شاشات التلفزة اللبنانية هذا الأسبوع. عادت اليرزة محجّةً إخبارية على مدى يومين هذا الأسبوع، لكن ليس ذلك بِنُذُر حرب موشكة رغم ارتباط ذكريات جيلنا من اليرزة بزمن الحرب. فعلياً، لم يغب الحجاج عن اليرزة وإن لم تتصدّر صورهم نشرات الأخبار، فسفراء التمويل والتدريب يزورون قيادة الجيش دورياً لالتقاط الصور مع متدرّبيهم، ولا تقتصر الزيارات على كبار رسل الدبلوماسية بل يشاركهم مندوبو الاستعمار في وكالات الإنسانية والإغاثة والسلام. فإن كان ركن السيادة المفترض قد انثُهك في خريف عام التسعين، فهو بات اليوم مشظّى ومستباحاً من الشرق والغرب.

إذاً عادت الأضواء لتتسلّط على اليرزة هذا الأسبوع، ورغم أن أبطال الأحداث يدورون في فلك الـ«سين - سين» ومتحاربَين شغلا أعلى مكتب وأدنى حجرة في اليرزة سابقاً، لا ينذر ذلك بالعودة إلى الحرب. فجغرافيا اليرزة اليوم تأوي منزل سفير السعودية وسفارة سوريا، وهاتان الوجهتان هما اللتان شهدتا الزحف البشري، بالمعنى الحرفي للأولى والمجازي للثانية. هفوة دبلوماسية جعلت من خيمة منزل سفير في اليرزة قبلة للمنبطحين المتعطشين لمكرماتٍ شحّت أخيراً نتيجة فشل المقاولين المفلسين في الإيفاء بوعودهم لأسيادهم الذين كانوا أسخياء يوماً من جهة، وتورّط فرعونهم بمشاريع وحروب مكلفة أطاحت بغروره وأمواله وقد تطيح به قريباً من جهة أخرى. هل ضمّن مستشارو ماكنزي ومجموعة بوسطن الاستشارية هذا الاحتمال في مخرجاتهم عندما صاغوا رؤية 2030 يا ترى؟ على كل، ننصح وفود المطبّلين والمغنّين والراقصين الذين أرادوا التكفير عن خطيئة الوزير المستقيل مرّتين أن يعتادوا مرارة القهوة التي احتسوها، فزمن الحلوى قد ولّى.

أما في اليوم الثاني من الحج إلى اليرزة، فكان المشهد مختلفاً. الحجاج هذه المرة كانوا أولاداً، وربما أحفاداً، من دخلوا اليرزة ردحاً منذ ثلاثة عقود، أتوا للإدلاء بأصواتهم المبكّرة في معركة ديموقراطية ننتظر نتائجها المتوقع صدورها ليل الأربعاء القادم على أحرّ من جمرٍ لما فيها من تداعيات على لبنان والمنطقة. لكن يبدو أن الذكّر المتكرّر لليرزة أعاد إحياء عقدٍ دفينة عند مهزومٍ دائم الإفلاس خسر كل حربٍ خاضها ولم يثُب، لا بل خسِر كل حربٍ لم يخضها أيضاً، إذ امتهن الرهان على خاسري حروب الإقليم. ولعلّه يراهن اليوم على فوز مرشح معين في الاستعراض الانتخابي، ما جعله يفلت مناصريه ضرباً على المتوجّهين إلى اليرزة لتصويب صور المرشّح الأوفر حظاً لحظّهم على تغيير رأيهم. لكن الأرجح هو أن مرغ المقاومة في فلسطين لأنف رهانه التاريخي (ورهان كفيله) في رمال النقب هو ما أفقده صوابه. لكن كلّ ذلك ليس مهمّاً، لأنه إنْ أثبت الأسبوعان الفائتان شيئاً فهو أن خطف اليرزة للأخبار في لبنان لم يحرّف الأنظار عن الحدث الذي يغيّر المنطقة، وعن تسجيل المقاومة انتصاراً جللاً على العدو الأول لجيل الراديو وجيل التلفزيون وجيل الإنترنت. في المقابل، ظهرت تفاهة غير مسبوقة لمشهد مُفْلِسي لبنان ومفْلِسيه في ظل تحولات كبرى ستشهدها منطقتنا في السنين القادمة. قد لا يجيد هؤلاء غير القرفصاء، ولا بأس في ذلك، فهذا يسهّل مرور من يخطو فوقهم.

في الواجهة

مناقشة رسالة عون اليوم: مجلس النواب غير معني؟

دخل تعطيل تأليف الحكومة اليوم شهره الثامن، فيما الأزمة تهرول الى الوراء، وتراكم أسباباً بعد أخرى لاستمراره، واستبعاد الاتفاق عليها الى أمد غير معلوم. مع ان الجولة الجديدة في البرلمان، الا ان المشكلة تبقى اولاً واخيراً بين الرئيسين

يبرء البرلمان نفسه بالقول ان التكليف منبثق من «اكثرية نيابية» وليس من «الاكثرية النيابية» (حسن ابراهيم)

نقولا ناصيف

مذ التأمت جلسة الهيئة العمومية لمجلس النواب لتلاوة رسالة رئيس الجمهورية ميشال عون، بدت الكتل كأنها على رؤوسها الطير: الكبرى منها اتت بنوابها جميعاً تقريباً ككتل رئيس المجلس نبيه برّي والرئيس المكلف سعد الحريري والنائب جبران باسيل ووليد جنبلاط، وبلغ النواب الحاضرون 82 نائباً. اضف انها استنفرت نفسها سلفاً لطلب الكلام والدخول في اشتباك، بعضها مع بعض على مضمون الرسالة. قبيل انعقاد

على غرار رسالة التحقيق الجنائي، مشكلة جحا مع خالته فقط

الجلسة، كان معوّلاً على عقد لقاء بين برّي والحريري العائد الى بيروت في وقت متأخر من ليل الخميس، في محاولة لتجنيبها اي تشنج طائفي يتحضّر له الطرفان المتقابلان. بيد أن اللقاء لم يحصل الا بعد رفع الجلسة، بعدما حسم رئيس المجلس خيار تأجيل المناقشة الى اليوم.

اكثر من معطى احاط بالجلسة القصيرة:

اولها، تحديد موعد التئامها البارحة، في اليوم الثالث لتلقي رئيس البرلمان رسالة رئيس الجمهورية بعد ظهر 18 ايار. بذلك التزم انعقادها ما نصّت عليه المادة 145 من النظام الداخلي للمجلس، خصوصاً فقرتها الثالثة التي تتحدّث عن آلية تعامل المجلس مع رسالة يوجهها رئيس الجمهورية اليه بواسطة رئيسه، المختلفة عن تلك التي ترعى الرسالة التي يدلي بها رئيس الجمهورية بنفسه امام البرلمان تبعاً للفقرتين الاولى والثانية. ما حدث انها انعقدت في اليوم الثالث، من غير ان تعتمد على الفقرة الثالثة التي تربط تلاوة الرسالة بمناقشتها في الجلسة نفسها. جرّاء برّي تلاوة الرسالة عن مناقشتها، مع انهما متلازمتان في الجلسة ذاتها، كون الرسالة غير مباشرة. ارتأى الفصل ما بين بينهما 24 ساعة على نحو ما نصت عليه الفقرتان الاولى والثانية، المتحدثتين عن الرسالة المباشرة التي يتلوها رئيس الجمهورية بنفسه. ليست المخالفة جسيمة وتستحق، الا انها توخت تغليب الجانب السياسي على الجانب القانوني في مقاربة المشكلة المتفجرة التي تحملها الرسالة.

ثانيها، لا مناص من الاشتباك اليوم بين الحريري وباسيل، كما بين نواب كتلتيهما، من غير استبعاد دخول كتل اخرى عليهما. ليس في الامكان تجاهل مناقشة الرسالة المنصوص عليها في المادة 145 او تعمّد اهمالها، وليس ثمة ما يشير الى استعداد طرفي التناحر لتخليهما عن نقل المشكلة ما بين رئيس الجمهورية والرئيس المكلف الى داخل مجلس النواب.

ثالثها، مع ان الطابع المرتقب للسجال سياسي دستوري في ظاهره، الا انه سيحجب لوقت قصير طابعاً طائفياً محضاً في تناوله الصلاحيات الدستورية لكل من رئيس الجمهورية والرئيس المكلف. مع ذلك، لا يقلل الشق الدستوري اهمية عن الاشتباك الطائفي، وهو سيمسي الملاذ الوحيد للمجلس كي ينجو بنفسه من مشكلة غير قادر على حلها. الا انه - بسبب غياب النص الصريح المكتوب - سيحتمي بالمخرج الذي يعزّز حجة الحريري، وهو ان الدستور لا ينص على سحب التكليف على نحو نصّه على التكليف. بذلك، لأن لا نص مقيّداً، لا يسعه الخوض في ما لا يدخل في صلاحيته: ما طلبه منه الدستور تسمية رئيس الحكومة المكلف فحسب.

رابعها، يسري جدل دستوري في البرلمان يرمي الى تنضله من اي مسؤولية عن اي مشكلة، يعتبر نفسه غير معني مباشر بها بعدما انجز المنوط به، وهو التسمية. غير انه بات شاهداً على نزاع دائر بين رئيس الجمهورية والرئيس المكلف عطل تأليف الحكومة ولا يزال. فحوى الجدل الدستوري الجديد، ان المجلس الملتئم كهيئة عمومية لم يكن هو المعني بتسمية الرئيس المكلف، وليس ثمة اكثرية قانونية ملزمة للتسمية ينص عليها الدستور. تالياً، فإن تسمية الرئيس المكلف منبثقة من اكثرية نيابية، وليس من الاكثرية النيابية المنصوص عليها في المادة 34 من الدستور الملزمة لانعقاد المجلس وهي الغالبية المطلقة. وليس ايضاً من الاكثرية الموصوفة كالثلثين المنصوص عليها في المادة 49 لنصاب جلسة انتخاب رئيس الجمهورية.

اي اكثرية تنشأ، ايا بلغ عدد المنضوين فيها، تسمح بترشيح احد ما لرئاسة الحكومة، ما لم يكن قبالته منافس حظي بعدد اكبر من الاصوات. في اولى حكوماته عام 1990، نال الرئيس عمر كرامي 31 صوتاً، وكانت المرة الاولى تطبق الاستشارات النيابية الملزمة بعد اتفاق الطائف، في مجلس لم يزد عدد اعضائه على 67 نائباً من جراء تناقصه ابان سني الحرب. بدوره الرئيس نجيب ميقاتي في اولى حكوماته عام 2005، نال 57 صوتاً رشحته لترؤس الحكومة، وهو رقم دون نصاب الاكثرية المطلقة.

باسم ذريعة «اكثرية نيابية» وليس «الاكثرية النيابية»، يقارب البرلمان مشكلة التكليف على ان المعني بها كتله جميعها وليس الهيئة العامة التي تتألف منه منعقداً تبعاً لالصول الواردة في المادة 34، وليست هي فمن تسمي الرئيس المكلف. الامر الذي لا ينطبق على جلسة منح الحكومة الجديدة الثقة، بكل المواصفات والشروط الدستورية المرافقة لانعقادها قانوناً.

خامسها، ان السجالات الدائرة، بتشنجها السياسي والمذهبي والطائفي، في غياب النص الدستوري الصريح الذي يتسلّح به احد فريقي النزاع، تفسح الباب غريضاً على اجتهادات وتأويلات يختلط الدستوري فيها بالسياسي. فكيف الحري بواقع كالذي يشهده لبنان، كل ما يتصل به يدور في فلك الانقسام والصراع السياسي اللذين لا يلبثان ان يعدما الاجتهاد ويعطبانه، ويجردانه من اي جدوى او حل. في ظل الانقسام والصراع السياسي، كل اجتهاد من حيث اتى، في رأي صاحبه وهو يدافع عن وجهة نظر فريقه وطائفته، مصيب ومحق، ما يجعل مقارعته متعذرة ان لم تكن مستحيلة، واقناعه عبثياً. بذلك يتعذر ايجاد مرجعية الاحتكام.

ما قاله رئيس الجمهورية في رسالته الى البرلمان صائب، وهو ان التكليف غير المقيّد يؤيد هذه الصلاحية لدى صاحبها، ويعطل تأليف الحكومة وانتظام عمل المؤسسات الدستورية ويعرّض الاستقرار للاخطار. لكن ما يفترض ان يقوله الرئيس المكلف اليوم، سيكون بدوره صحيحاً وحقاً انطلاقاً من ان في الدستور جهتين تنيطان به منصبه: النواب الذين يرشحونه، ورئيس الجمهورية الذي يكلفه، دونما ان يكون ثمة مَن يسعه ان يفرض عليه تجريده مما بين يديه الى ما شاء الله، الا اذا اراد هو التنحي.

سادسها، ان انتهاء الجلسة المقررة اليوم، بعد مناقشة الرسالة، امام خيار توصية ليس الا يصدرها المجلس، يحض فيها على استعجال تأليف الحكومة، دونما تمكّنه من تأكيد صلاحيته الدستورية في استعادة المبادرة حيال تكليف الحريري. لاسباب السياسية والمذهبية والطائفية، لا يسعه الاقرار بأن له صلاحية تجريده من التكليف، ولا كذلك اعتباره هو بهيئته العامة مَن رشح الحريري لتأليف الحكومة. لا يسعه ايضاً للاسباب نفسها تأكيد تمسكه به. اذذاك تصبح التوصية باب نجاة.

قد يستعيد ما يُفترض ان يحدث اليوم حالاً مماثلة سابقة، عندما وجّه عون رسالة الى المجلس في 24 تشرين الثاني 2020، طالباً تدخّله لفرض التحقيق الجنائي، شاكياً من عدم تعاون حاكم مصرف لبنان رياض سلامة الذي يعارضه ويمتنع عن تزويد السلطات ملفات المصرف. في جلسته لمناقشة الرسالة في اليوم الثالث 27 تشرين الثاني، انتهى البرلمان الى توصية قضت بطلب اجراء تحقيق جنائي اوسع من المطلوب، في كل وزارات الدولة وادارتها ومؤسساتها بما فيها مصرف لبنان المشكو منه. يومذاك قال النائب جميل السيّد ان المجلس غير معني برسالة يشكو فيها رئيس الجمهورية على موظف يقتضي التزام قرارات مجلس الوزراء الا انه يمتنع عن تنفيذها، ما يجعل المشكلة داخل السلطة الاجرائية، لا علاقة لمجلس النواب بها.

على نحو مشابه ربما، يقتضي ان يُفهم من مغزى جلسة المناقشة اليوم ان مشكلة جحا مع خالته فقط.

بري يُرجئ «معركة الأونيسكو» إلى اليوم

بعدما بلغت التعقيدات ذروتها على جبهة تأليف الحكومة العتيدة، أشيعت في الأيام الماضية أجواء عن توتّر إضافي سيطرأ على المسار بأكمله، كما المشهد السياسي في البلاد. فبعدما دعا رئيس مجلس النواب نبيه بري إلى جلسة خصّصها لتلاوة رسالة رئيس الجمهورية العماد ميشال عون حول التأخير في تأليف الحكومة، طالباً مناقشتها في الهيئة العامة للمجلس النيابي وفق الأصول، واتخاذ الموقف أو الإجراء أو القرار المناسب بشأنها، محمّلاً الحريري مسؤولية التعطيل واحتجاز التشكيلة الوزارية وتبعات ممارساته، اتجهت الأنظار إلى قصر الأونيسكو ــ حيث انعقدت الجلسة بعد ظهر أمس ــ مع توقعات بحصول اشتباك سياسي ولا سيما بين تيار المستقبل والتيار الوطني الحرّ، وتعدّدت السيناريوات عن متاعب إضافية تواجه عملية التشكيل، غيرَ أن الجلسة كانت أسرع ممّا توقعها البعض، ولم تأخذ أكثر من الوقت اللازم لتلاوة الرسالة، قبلَ أن يرفعها برّي إلى ظهر اليوم لمناقشتها، وذلك التزاماً بحرفية الدستور القائل بوجوب حضور النواب خلال مدة 24 ساعة من تلاوة الرسالة لمناقشة مضمونها.

حضر الجلسة أكثر من 80 نائباً من مختلف الكتل، ولم يغب عنها الرئيس المكلف سعد الحريري الذي بقي في غرفة قريبة. وكانَ الحرص على الحضور واضحاً، ولا سيما عند كتلة المستقبل النيابية، إلى درجة «استدعاء» النائبة ديما جمالي التي تعمل خارج لبنان، والتي أتت «من أجل الرسالة»، بحسب ما قالت لزملائها النواب في درشة بعد انتهاء الجلسة. الحدث لم يكُن داخل القاعة، إنما في الاتصالات واللقاءات السياسية التي سبقتها، ومن المفترض أن تستمر حتى ما قبل جلسة اليوم. فقد علمت «الأخبار» أن جهوداً قادها رئيس المجلس من أجل تفادي التصعيد، وكان هناك «تمنٍّ» بأن لا تكون هناك مداخلات للنواب وإعطاء المزيد من الوقت، فالعمل «هو لتخفيف العصف بين الفريقين يشهده الملف الحكومي في إطار المعارك المفتوحة على الصلاحيات لا تأجيجه». وفي هذا السياق، سبقَ الجلسة لقاء بين برّي والحريري أدى إلى تأخير افتتاح الجلسة لأكثر من عشر دقائق، نقلت عنه مصادر مطلعة أن «برّي أكد للحريري أن هناك حلاً لكل شيء، بعدما اعتبر الأخير أن ما يفعله رئيس الجمهورية مُضرّ وأن لكل حادث حديث غداً (اليوم)». وأشارت المصادر إلى أن برّي عادَ والتقى الحريري بعد انتهاء الجلسة مرة أخرى، لافتة إلى أن «الاتصالات مستمرة» كي لا تتحول جلسة اليوم الى «ساحة معركة».

وفيما يتزايد الاقتناع بأن ما يشهده الملف الحكومي أبعد من مجرّد خلاف على الحصص، قال نواب في التيار الوطني إن «الرسالة هدفها تحريك الملف الحكومي، لا زيادة الضغط على الحريري أو محاولة عزله، بل للدفع في اتجاه تحريك عجلة التأليف»، بينما قالت مصادر «المستقبل» إن «عون ومن خلال هذه الرسالة لا يستهدف الحريري وحسب، إنما يريد إقحام مجلس النواب كجزء من التعطيل وتحميله مسؤولية ما يجري»، مؤكدة أن «استقالة نواب المستقبل غير واردة».

(الأخبار)

ردود

«القوّات» تبرّر الاعتداء على الناخبين السوريين: «رد فعل عفوي»

جاءنا من حزب القوات اللبنانية الرد الآتي:

طالعتنا صحيفتكم في عددها 4345 بتاريخ 21 أيار بمقالة للسيد فراس الشوفي بعنوان «جعجع... قاطع الطرق»، وتوضيحًا للمغالطات الواردة في هذه المقالة، نؤكد على الآتي:

- أولًا، يقول الشوفي إنّ رئيس حزب «القوات اللبنانية» سمير جعجع «قطع في الماضي الطريق على السلم الأهلي، واليوم يحاول قطع الطريق على التغيّرات الإقليمية وانعكاساتها في لبنان، كما قطع قبل عام ونصف عام الطريق على اللبنانيين وبالأمس على السوريين».

نذكّر السيد الشوفي بأنّ الدكتور جعجع دفع وحيداً ثمن سعيه لإنهاء الحرب وقيام دولة حقيقية، والذي قطع الطريق على السلم الأهلي هو العماد ميشال عون برفضه اتفاق الطائف وتسليم مقاليد السلطة، ويبدو إما أن السيد الشوفي لم يعايش تلك المرحلة وغير مطّلع على تفاصيلها، وإما أنّه يُمعن في التضليل عن سابق تصوّر وتصميم.

وأما لجهة قطع رئيس «القوات» الطريق على التغيرات الإقليمية، فنسأل السيد الشوفي عن أي تغيّرات يتحدّث؟

وما الذي تبدّل على أرض الواقع؟

وهل يظنّ أنّ مخيلة محوره الواسعة بالترويج لوصايات جديدة على لبنان مادة قابلة للتصديق؟

- ثانيًا، ما حصل مع المؤيدين للنظام السوري هو كناية عن ردّ فعل عفوي من قبل الناس المسالمين الذين تفاجأوا بمواكب استفزازية تتحدّاهم برفع الأعلام والصور والشعارات والأناشيد والاعتداء على المارة، وبالتالي هو ردّ فعل عفوي رفضًا للاستفزاز ودفاعًا عن النفس.

- ثالثًا، ما عبّر عنه رئيس حزب «القوات» ليس «قرارًا تخريبيًا» كما كتب الشوفي، لـ«الاعتداء على الأبرياء لمجرّد أنّهم يمارسون حقّهم في التعبير عن موقفهم السياسي»، وهنا مكمن الخطأ بحدّ ذاته، لأنّ لا حقوق سياسية للنازح، إنما إنسانية، وموقف جعجع أتى انسجامًا وتطبيقًا للقانون الدولي الذي ينصّ بوضوح على أنّه في اللحظة التي يعتبر فيها النازح أنّ السلطة التي هرب من بطشها لم تعد تشكل مصدر خطر له، عليه أن يعود فورًا إلى نطاق نفوذ هذه السلطة.

- رابعًا، لم يستند الدكتور جعجع في مواقفه سوى إلى إرادة اللبنانيين، وهذا ما يفسّر سعيه لانتخابات مبكرة تعيد إنتاج السلطة كلّها، ولكن للبنان الحق كلّه على المجموعة الدولية والعربية، التي يشكل جزءًا لا يتجزأ منها، من أجل أن تسهر على منع إخراجه بالقوة من العباءة الدولية وإبقاء لبنان ساحة مستباحة لأغراض إقليمية.

- خامسًا، كل الكلام عن دعم وعلاقات وارتباطات وتمرير أسلحة وما شابه يندرج في إطار الفبركة والكذب والتضليل، والمضحك المبكي أن يأتي هذا الكلام عن الفريق الذي يصادر قرار الدولة الاستراتيجي، ويمنع احتكارها للسلاح بحجج ساقطة.

- سادسًا، لا يختار الدكتور جعجع ولا يدعم سوى من يدعم مشروع الدولة في لبنان وسيادته واستقلاله واستقراره، فموقف «القوات اللبنانية» الذي يعلي السيادة وقيام الدولة ليس موضع نقاش ولا مساومة مع أي كان في الداخل أو الخارج، فكل من هو مع لبنان الدولة والسيادة هو صديق لـ«القوات»، وكل من هو مع لبنان الدويلة والساحة هو خصم لـ«القوات».

- سابعًا، إن الكلام عن أن «القوات اللبنانية» في موقف متوتر بسبب التطورات الخارجية ليس في محله، بل من هو متوتر هو من فشل مشروعه في العالم العربي ولبنان وأوصل اللبنانيين إلى الفقر والمجاعة ويراهن على الخارج الذي يأتمر أساسًا بأوامر خارجية من أجل أن يبقى لبنان ساحة من ساحاته المأزومة، ويبقى اللبنانيين في الوضع المأسوي الذي أوصلهم إليه، ويبقى الدولة فاشلة ومتخلفة، وبالتالي الطرف المأزوم هو الفريق الذي انكشف على حقيقته بأنه فاشل ويخطف لبنان ويأسر قراره، كذلك هو مَن بدّل في وجه لبنان ودوره ونقله من الازدهار إلى الانهيار.

- ثامنًا، أما لناحية معادلة الربح والخسارة فـ«القوات» تربح إذا ربح لبنان والشعب اللبناني، وتخسر في حال خسر لبنان والشعب اللبناني، فيما غيرها يربح على حساب لبنان واللبنانيين.

- تاسعًا، اعتبر الشوفي أن «القوات» كانت وراء «قطع الطرقات على مدى العامين الأخيرين»، فإذا كانت «القوات» قادرة على تجييش الناس من ساحة إيليا في صيدا، إلى ساحة العبدة في طرابلس، وما بينهما وما بعدهما في سعدنايل وتعلبايا ووسط بيروت والخط الساحلي وطريق الجديدة وسائر المناطق والساحات الأخرى، فذلك يعني أن «القوات» يجب أن تتسلّم إدارة الحكم في لبنان، لأن من يستطيع تحريك اللبنانيين جميعهم وفي المناطق كلها يجب أن يكون في موقع الحكم وإدارة الدولة.

- عاشرًا، نظرًا إلى المغالطات التي لا تعدّ ولا تحصى في مقالة السيد الشوفي والافتراءات والفبركات الواردة فيها، فإن «القوات» ستقوم بالادعاء عليه.

رد من مصرف لبنان

جاءنا من مصرف لبنان الرد الآتي:

نشرت جريدة «الأخبار» في عددها الصادر يوم الخميس 20 أيار 2021، وكعادتها في إطار التهجّم على مصرف لبنان واستهداف كل ما يقوم به ضمن حملات مبرمجة باتت مكشوفة الأهداف، تقريراً بعنوان «شراكة سلامة - ماريان الحويك تمتد إلى منصّة الدولار: أموال المودعين لمشاريع لم تُنفذ»، وتضمّن مغالطات كبرى وتزويراً للحقائق. وبناءً عليه يهمّ مصرف لبنان تأكيد الآتي:

إن تمويل كل المشاريع المذكورة في التقرير المنشور إنما تأتي من تمويل خارجي ومصرف لبنان لم يدفع عليها دولاراً واحداً من أمواله أو من الاحتياطي بالعملات الأجنبية الموجود لديه، هذا الاحتياطي الذي يشكل ضمانة للمودعين اللبنانيين.

وفي التفاصيل، فإن مشروعي «صيرفة» و BDLassist (ما سمّوه مشروع Probo) تمّا بتمويل خارجي لمصلحة مصرف لبنان، أما مشروع العملة الرقمية فهو مشروع خاص وبتمويل خاص، على أن يصبّ عند إنجازه والموافقة عليه في مصرف لبنان، مع الإشارة إلى أنه مشروع مؤجّل حتى إشعار آخر بسبب الظروف الحالية التي يمرّ بها لبنان.

وحدة الإعلام والعلاقات العامة

سوريا

الرقة تشارك في الانتخابات: مطالبات لـ«قسد» بفتح المعابر

تعود محافظة الرقة، بجزء من جغرافيتها، للمشاركة في الاستحقاق الانتخابي، للمرّة الأولى منذ اندلاع الحرب في سوريا، وسط جهود رسمية وعشائرية لحثّ الأهالي القاطنين في مناطق سيطرة «قوات سوريا الديموقراطية»، على العبور نحو مناطق سيطرة الحكومة، والمشاركة في الانتخابات. ولكن، ثمّة مؤشرات إلى أن «قسد» قد تحرم الأهالي من عبور مناطق سيطرتها للمشاركة في عملية الاقتراع، وهو ما بدا يتمظهر في اقتصار حالات العبور على الطلاب فقط

أيهم مرعي

تنشط الفعاليات العشائرية والشعبية والأهلية في أرياف الرقة الخاضعة لسيطرة الحكومة السورية، في مسعى منها لتوسيع رقعة مشاركة أبناء المحافظة في الاستحقاق الانتخابي الرئاسي، لتشمل سكان المناطق الخاضعة لسيطرة «قوات سوريا الديموقراطية». وتكاد لا تغيب الفعاليات الشعبية التحضيرية عن غالبية نواحي الرقة الثلاث، معدان والسبخة ودبسي عفنان، في ظلّ تواصل أعداد كبيرة من سكان المناطق الخاضعة لسيطرة «قسد» مع الأجهزة الحكومية، لتسهيل عبورهم ومشاركتهم في الانتخابات. وتتوقع مصادر أهلية ورسمية، مشاركة واسعة لأبناء الرقة، الذين تهجّروا إلى مدينة حماة وريفها بشكل أساسي.

وكانت محافظة الرقة قد غابت تماماً عن الانتخابات الرئاسية عام 2014، بسبب سيطرة «داعش» عليها بشكل كامل آنذاك، مع منع التنظيم الأهالي من الوصول إلى المراكز الانتخابية في حماة والحسكة. لكن المشهد يختلف اليوم، وسط انتشار النشاط الدعائي للمرشّحين بشكل ملحوظ على امتداد المناطق الخاضعة لسيطرة الحكومة السورية في الريفين الشرقي والغربي، حيث نُصبت عشرات الخيم الانتخابية، في مشهد يوحي باحتمال مشاركة شعبيّة لافتة في الاستحقاق المرتقب. كما أظهرت مواقع التواصل الاجتماعي تفاعلاً لافتاً لأبناء الرقة في مناطق سيطرة «قسد»، في حين ظهرت آراء أخرى تنتقد إجراء الانتخابات قبل الوصول إلى حلّ سياسي شامل، ينهي الأزمة السورية. وفي هذا السياق، يقول أحد وجهاء عشيرة «السبخة» في الرقة، بشار الملحم، لـ«الأخبار»، إن «أبناء العشائر سيشاركون في الاستحقاق الرئاسي لدعم الاستقرار الذي بدأت تعيشه البلاد، وللبدء في مرحلة إعادة الإعمار»، مؤكداً أنهم يتواصلون مع ذويهم في مناطق سيطرة «قسد»، لتسهيل مرورهم، وممارسة حقّهم باختيار رئيس للبلاد. ويضيف الملحم: «قمنا بتنظيم زيارات لأهلنا من أهالي الرقة القاطنين في عدد من المحافظات، وفي القطر اللبناني الشقيق، لحثّهم على المشاركة في الانتخابات».

بدوره، يعبّر شيخ عشيرة «البوحمد» في الرقة، أنور صالح الحمود، عن «دعمه بالمشاركة الفاعلة لأبناء الرقة في الاستحقاق الرئاسي، كتأكيد منهم عن دعم السيادة الوطنية للبلاد، وإقامة الاستحقاقات الدستورية في موعدها»، مرحّباً «بمشاركة واسعة لأبناء الرقة في مناطق سيطرة قسد، في حال فُتحت المعابر في يوم الانتخابات». ويقول الحمود: «لا نريد منهم سوى فتح المعابر، وعدم منع الأهالي من ممارسة حقّهم». من جهته، يؤكّد محافظ الرقة، عبد الرزاق الخليفة، في تصريح لـ«الأخبار»، أن «المحافظة أنجزت كافة الاستعدادات اللازمة للانتخابات، مع تجهيز المراكز الانتخابية وتعيين أمناء للصناديق، وتأمين الحماية اللازمة لهذه المراكز»، لافتاً إلى «قيام المحافظة بتقديم كافة التسهيلات اللازمة للمرشّحين في الانتخابات»، كاشفاً عن «اتصالات كثيفة تتلقّاها المحافظة من المناطق الخاضعة لسيطرة قسد، لتسهيل وصول الأهالي إلى المراكز الحكومية للإدلاء بأصواتهم». ويرى المحافظ أنه «في حال لم يتمّ منع الأهالي من الوصول إلى مناطق سيطرة الحكومة، سيشارك الآلاف من سكان تلك المناطق في الانتخابات»، مستدركاً بالقول إن «ملامح منع عبور السكان بدأت تظهر، من خلال اقتصار حالات العبور في المعابر على الطلاب فقط، وهو مؤشّر سلبي». وبحسب رئيس اللجنة القضائية الفرعية للانتخابات في الرقّة، عبد مدح السيخ، «تمّ تحديد 94 مركزاً انتخابياً في الأرياف المحرّرة الخاضعة لسيطرة الحكومة، مع اتّخاذ كافة الإجراءات اللازمة لمنع انتشار فيروس كورونا».

> **ثمّة مؤشرات سلبية تشي بإمكانية منع «قسد» الأهالي من المشاركة في الانتخابات في الرقة**

الثلاثة، لإتاحة الفرصة لهم لممارسة النشاط الانتخابي». ويتوقّع المحافظ أن «يشارك غالبية أهالي القرى والبلدات المحرّرة المنتشرة على مساحة ستة آلاف كيلومتر مربّع، والبالغ عدد سكانها أكثر من 185 ألفاً

اظهرت مواقع التواصل الاجتماعي تفاعلاً لافتاً لأبناء الرقة في مناطق سيطرة «قسد» مع الاستحقاق الانتخابي (أ ف ب)

تقرير

روحاني: الاتفاق يشمل إلغاء العقوبات الرئيسة

أكد الرئيس الإيراني، حسن روحاني، التوصّل إلى توافق أساسي حول رفع إجراءات الحظر الرئيسة في مفاوضات فيينا، وأن البحث يدور، راهناً، حول أمور جزئية. وقال روحاني خلال مراسم تدشين عدد من المشاريع البتروكيميائية، أوّل من أمس، إن مجيء الأطراف الأخرى إلى فيينا وخوضهم المفاوضات وقبولهم رفع إجراءات الحظر الأساسية، كل ذلك يعود إلى هذه المفاخر والإنجازات التي تحقّقت، مضيفاً: «هذه الأمور وغير ذلك، فقد قبلوا رفع الحظر في مجالات النفط والبتروكيميائيات والملاحة البحرية والضمان والبنك المركزي والبنوك وغير ذلك من القضايا». وانتهى الأمر». كذلك، لفت الرئيس الإيراني إلى أن الخطوة الرئيسة والكبرى قد اتُّخذت، وتمّ التوصل بالفعل إلى توافق أساسي، «وبطبيعة الحال، هنالك أمور نتباحث في شأنها لنصل إلى الاتّفاق النهائي، إلّا أن الحكومة قامت بهذا العمل»، خاتماً: «قبل ثلاثة أشهر، كنت منشغل البال: هل الحكومة ونحن قادرون على ذلك؟ إلّا أننا تمكّنا من أن نقصم ظهر كورونا والحظر».

في هذا الوقت، أعلنت «الوكالة الدولية للطاقة الذرية» عن محادثات تجريها مع إيران للحفاظ على مراقبة المنشآت النووية، وبالتالي السماح باستمرار المفاوضات لإنقاذ الاتفاق النووي. وقالت الوكالة، ومقرّها في فيينا، في بيان مقتضب، إن «الوكالة وإيران تجريان مشاورات حالياً». وكان المدير العام للوكالة، رافاييل غروسي، أعلن، في 21 شباط/ فبراير الماضي، عن إبرام «اتفاق ثنائي تقني» مع الجمهورية الإسلامية لمدة ثلاثة أشهر من أجل «الحفاظ على الدرجة اللازمة من المراقبة والتحقّق». وتوجّه غروسي سابقاً بشكل طارئ إلى طهران في محاولة لإيجاد حلّ قبل أن يدخل حيّز التنفيذ قانون يحدّ من عمليات التفتيش على الأرض. والتزمت إيران، خصوصاً، بتوفير كلّ البيانات من الكاميرات والأدوات الأخرى في حال رفع العقوبات الأميركية في نهاية تلك الفترة. لكنّ هذا الاتفاق يشارف على نهايته، فيما دعا الأوروبيون الذين يتفاوضون حالياً في فيينا، طهران إلى تمديده في انتظار التوصّل إلى نتيجة. وبحسب دول الترويكا (فرنسا وألمانيا وبريطانيا)، فإن «وصول الوكالة ضروري» في نجاح الجهود «لإعادة العمل بخطة العمل الشاملة المشتركة».

(الأخبار)

> **أعلنت وكالة الطاقة الذرية عن محادثات تجريها مع إيران للحفاظ على مراقبة المنشآت النووية**

روحاني: تمكنّا من أن نقصم ظهر كورونا والحظر (من الويب)

استراحة

كلمات متقاطعة 3743

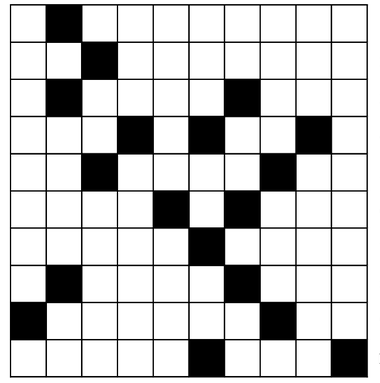

أفقيا

1- زوجة أمير موناكو قضت جراء حادث سيارة عام 1982 – 2- فيلم سينمائي للأخوين رحباني – للتاوه – 3- أشعر – وكالة أنباء عربية – 4- بسط يده – رجل أسطوري إشتهر بالحمق والبلاهة تُنسب إليه نوادر وفكاهات – 5- إحسان – مدينة بلجيكية – مرض صدري – 6- نَفَت – دخول – 7- عاصمة جنوب السودان – من الطيور – 8- عالج الجلد – ضد وقفت – 9- نعم بالأجنبية – وحدة لقياس الطول – 10- محب للأكل – حكاية مستحسنة

عمودياً

1- مؤسس محطة تلفزيونية – 2- مدينة فلسطينية – من شخصيات كتاب التوراة – 3- يصوّر – من النباتات – 4- لعن وشتم – نعم بالروسية – والدة – 5- أوقف حياته لخدمة بلاده – عملة اليابان – قطعة من أرض – 6- يداعب الطفل – طويل اللسان – 7- خاصتكن – شاعر فرنسي راحل – 8- اضطرم وتلهّب – يانصيب بالأجنبية – 9- من الطيور – آلة موسيقية – 10- نهر لبناني

حلول الشبكة السابقة

أفقيا

1- البترون – اس – 2- حمار – يربوع – 3- بويك – أسي – 4- الأمس – اللد – 5- مايا – شل – وع – 6- نوابغ – 7- باع – الحامل – 8- مزراب – صلح – 9- بق – تايرا – 10- وديع الصافي

عمودياً

1- احلام – بمبو – 2- لم – لاباز – 3- باباي – عربي – 4- ترومان – اقع – 5- يس – واب – 6- ويك – شال – تل – 7- رن – البحصاص – 8- بال – غاليا – 9- اوسلو – محرّف – 10- سعيد عقل – اي

sudoku 3743

4			8			9		
1	6	7	5					2
9			7	3		5		
5		4			2	1	6	
	2	9		1		4		3
		8		6	9			4
7			1		3			9
		5			7			

شروط اللعبة

هذه الشبكة مكوّنة من 9 مربعات كبيرة وكل مربع كبير مقسّم إلى 9 خانات صغيرة. من شروط اللعبة وضع الأرقام من 1 إلى 9 ضمن الخانات بحيث لا يتكرر الرقم في كل مربع كبير وفي كل خط أفقي أوعمودي.

حل الشبكة 3742

5	7	9	1	3	2	6	8	4
6	2	4	5	9	8	7	1	3
8	1	3	7	4	6	9	2	5
1	5	7	6	8	3	4	9	2
9	6	2	4	5	7	1	3	8
3	4	8	9	2	1	5	7	6
2	9	5	3	1	4	8	6	7
7	3	1	8	6	5	2	4	9
4	8	6	2	7	9	3	5	1

مشاهير 3743

11	10	9	8	7	6	5	4	3	2	1

رسام فرنسي (1703-1770) من رواد فن التزيين الداخلي الذي ظهر في القرن الثامن عشر واختفى بعد الثورة الفرنسية. من تحفه الفنية لوحة «زينة فينوس»

4+5+2+7+5+3 = طبقة صوت النساء ■ 8+9+7+6+3 = موسيقي بولندي ■ 11+10+14+1 = منحط

حل الشبكة الماضية: زياد الرفاعي

إعداد نعوم مسعود

إعلانات رسمية

إعلان

تعلن كهرباء لبنان بأن مهلة تقديم العروض لتصليح محولات قدرة MT/ BT، موضوع استدراج العروض رقم ث‌ع/7972/ تاريخ 31/12/2020، قد مددت لغاية يوم الجمعة 25/6/2021 عند نهاية الدوام الرسمي الساعة 11:00 قبل الظهر.

يمكن للراغبين في الاشتراك باستدراج العروض المذكور أعلاه الحصول على نسخة من دفتر الشروط من مصلحة الديوان - أمانة السر - في الغرفة المسبقة الصنع رقم 38 المستحدثة في الجهة الغربية من المبنى المركزي لمؤسسة كهرباء لبنان ضمن حرمه، مبنى كهرباء لبنان – طريق النهر وذلك لقاء مبلغ قدره /000 300/ل.ل.

علماً بأن العروض التي سبق وتقدم بها بعض الموردين لا تزال سارية المفعول ومن الممكن في مطلق الأحوال تقديم عروض جديدة أفضل للمؤسسة.

تسلم العروض باليد إلى أمانة سر كهرباء لبنان – في الغرفة المسبقة الصنع رقم 38 المستحدثة في الجهة الغربية من المبنى المركزي لمؤسسة كهرباء لبنان ضمن حرمه.

بيروت في 18 أيار 2021

بتفويض من المدير العام

مدير الشؤون المشتركة بالإنابة

المهندس واصف حنيني

التكليف 374

إعلان

تعلن كهرباء لبنان بأن مهلة تقديم العروض لاستقدام استشاري متخصص في دراسة وتصميم وتدعيم المباني لزوم إعداد دراسة هندسية بنيوية للمبنى المركزي لمؤسسة كهرباء لبنان المتضرر نتيجة انفجار بيروت، موضوع استدراج العروض رقم ث‌ع/7255 تاريخ 27/11/2020، قد مددت لغاية يوم الجمعة 18/6/2021 عند نهاية الدوام الرسمي الساعة 11:00 قبل الظهر.

يمكن للراغبين في الاشتراك باستدراج العروض المذكور أعلاه الحصول على نسخة من دفتر الشروط من مصلحة الديوان - أمانة السر - في الغرفة المسبقة الصنع رقم 38 المستحدثة في الجهة الغربية من المبنى المركزي لمؤسسة كهرباء لبنان ضمن حرمه، مبنى كهرباء لبنان – طريق النهر وذلك لقاء مبلغ قدره /000 300/ل.ل.

علماً بأن العروض التي سبق وتقدم بها بعض الموردين لا تزال سارية المفعول ومن الممكن في مطلق الأحوال تقديم عروض جديدة أفضل للمؤسسة.

تسلم العروض باليد الى أمانة سر كهرباء لبنان – في الغرفة المسبقة الصنع رقم 38 المستحدثة في الجهة الغربية من المبنى المركزي لمؤسسة كهرباء لبنان ضمن حرمه.

بيروت في 17/5/2021

بتفويض من المدير العام

مدير الشؤون المشتركة بالإنابة

المهندس واصف حنيني

التكليف 363

اعلان نقابة المهندسين –طرابلس

عملا بالمادة 24 من قانون تنظيم مهنة الهندسة والمادة 4-4 من النظام الداخلي للنقابة والمواد 11-8و15 من قانون الصندوق التقاعدي، وعطفاً على قانون تعليق المهل رقم 160/ 2020 – 185/ 2020 و 199/ 2020 وتبعاً لقرارات التعبئة العامة، وعطفاً على الظروف الصحية القاهرة التي تمر بها البلاد تدعى هيئة المندوبين لعقد جلسة استثنائية في دار النقابة لبحث مايلي:

- التقرير السنوي الإداري والمالي لكل من مجلس النقابة ولجنة إدارة الصندوق التقاعدي عن عام 2021-2020

- التقرير المالي السنوي عن العام -2020 2021 للنقابة وصندوق التقديمات الاجتماعية والبرامج الملحقة به، والصندوق التقاعدي

جلسة أولى: الساعة الثانية من بعد ظهر يوم الخميس الواقع فيه 3/6/2021

جلسة ثانية: الساعة الثانية من بعد ظهر يوم الخميس الواقع فيه 10/6/2021 حيث يكون النصاب قانونيا بمن حضر

النقيب بسام زيادة

إعلان عن فقدان سند تمليك بحري

يعلن السيد انطوان شربل عاصي بأنه فقد سند التمليك البحري رقم 2020/130 العائد لزورق النزهة «ES-TIA TWO» رقم التسجيل 1832/جونية رقم الهيكل UAXVA50022707.

يمكن لمن لديه أي اعتراض التقدم من رئاسة مرفأ جونية خلال مهلة خمسة عشر يوماً من تاريخ نشر هذا الإعلان، للاتصال هاتف 933818 - 09 . 958751 - 03

رئيس مرفأ جونية

المهندس البحري بطرس نافع

وثيقة تبليغ مدنية

صادر عن محكمة استئناف بيروت غرفة الرئيس نسيب ايليا

رقم الدعوى: 2020/337

طالب التبليغ: نبيل فؤاد نصري

المطلوب تبليغه: المستأنف بوجههم السادة مفلح ومخايل وذكية ونجلا وحنة هلال والمطلوب ادخالهم ابناء المرحوم طانيوس بشارة هلال وهم: إميل ونهاد وسميرة هلال مجهولي محل الاقامة.

الاوراق المطلوب ابلاغها: استئناف ومرفقاته بالدعوى المقامة عليكم من طالب التبليغ وموضوعها أحوال شخصية.

فيقتضي حضوركم بالذات أو من يمثلكم قانوناً بموجب سند مصدق لإستلام الأوراق وإلا تجري بحقكم الإجراءات القانونية، سنداً للمواد 409 و463 أ.م.م.

رئيسة القلم

مرسال شديد

اعلان

من أمانة السجل العقاري في المتن طلب عصام الياس الحاج المالك في القسم /13/ من العقار /756/ ضبية سند تمليك بدل عن ضائع بحصته.

للمعترض المراجعة خلال 15 يوم

أمين السجل العقاري

مايكل حدشيتي

مبوب

مطلوب

مطلوب تقني أشعة، ممرض ومساعد ممرض لبناني للعمل في مركز بحنس الطبي الرجاء إرسال السيرة الذاتية على البريد الإلكتروني: hr@bhannes.com أو الاتصال على الرقم 04983770 مقسّم 1122 (الرجاء الاتصال بين الـ7:30 والـ 14:30 من الاثنين إلى الجمعة وبين الـ8:00 و الـ13:00 نهار السبت).

الأخبار
al-akhbar
السبت 22 أيار 2021 العدد 4346

صورة وخبر

في خضمّ العدوان الإسرائيلي على غزّة، حوّل بلال خالد صاروخاً صهيونياً أُطلق على أحد المنازل ولم ينفجر، إلى لوحة فنية، باعثاً رسالة أمل وصمود من نوع آخر. تعليقاً على الصور التي توثّق هذا العمل، كتب بلال خالد على حسابه على إنستغرام: «تحت القصف، صنعنا من آلة الدمار لوحة فنية»، مستشهداً بقول سميح القاسم: «يموت منا الطفل والشيخ ولا نستسلم، وتسقط الأم على أبنائها القتلى ولا نستسلم».

«سوق البلد»: لبناني مئة في المئة

اليوم السبت، سيكون محبّو المنتجات المحلية والبلدية المنوّعة على موعد مع «سوق البلد» في وسط بيروت. إنّها مبادرة لبنانية بامتياز، ترمي إلى تمكين ومساعدة صغار المنتجين والمزارعين والفنانين على عرض منتجاتهم العالية الجودة في الهواء الطلق وتسهيل مهمّة بيعها. باختصار، يحاول «سوق البلد» (يقام كل يوم سبت) أن يكون صلة وصل بين هؤلاء وبين الزبائن المتعطّشين لمثل هذه المعروضات، فيما يكتسب أهمية إضافية حالياً في ظلّ تردّي الأوضاع في البلد على الأصعدة كافّة، ولا سيّما الاقتصادية والمعيشية منها.

«سوق البلد»: اليوم السبت ـ بين الساعة الثامنة صباحاً والثانية بعد الظهر ـ أسواق بيروت (وسط العاصمة اللبنانية). للاستعلام: 81/839376

بيت الدين: تراث ورسم وموسيقى

تحيي وزارة الثقافة اللبنانية (المديرية العامة للآثار)، غداً الأحد، «اليوم الوطني للتراث» في قصر «بيت الدين». يوم طويل يتوجّه إلى الصغار والكبار على حد سواء، وتتخلّله أنشطة فنية وثقافية عدة يركّز جلّها على إبراز أهمية التراث والمحافظة عليه ونقله من جيل إلى آخر. هكذا، تتولى التشكيلية ديما ذبيان الرسم المباشر للوحات تراثية في الهواء الطلق مع طلابها في معهدها Atelier Coin d›art، فيما سيستمع الزوّار أيضاً إلى أعضاء فرقة «فوضى منظّمة» الشوفيّة التي ستعزف على العود وتؤدي أغنيات فيروزية، إلى جانب أخرى طربية وتراثية، فضلاً عن معرض مخصّص لمحبّي الأشغال اليدوية.

«اليوم الوطني للتراث»: غداً الأحد ـ قصر «بيت الدين» (قضاء الشوف) ـ للاستعلام: 05/500077

بين صيدا والإسكندرية... بحر وقصص

أعلنت «جمعية فنون إشبيلية» (صيدا ـ جنوب لبنان) عن شراكة مع «غرينش» (مصر) وعن دعوة مفتوحة إلى ورشة عمل في إطار مشروع «من الإسكندرية إلى صيدا: مذكرات بحرية»، يهدف إلى اكتشاف أنماط بيئية اجتماعية مماثلة في المدينتين في الأعوام الثلاثين الماضية. تستهدف الورشة رواة القصص من صيدا والإسكندرية حصراً، كجزء من مشاركة «جمعية فنون إشبيلية» و«غرينش» في برنامج Tandem 360° الذي يوفر مساحة لتجربة أفكار مشروع متعدّد التخصصات، ورسم خرائط للنظام البيئي، وأساليب مبتكرة لإحداث التغيير من خلال الثقافة.
الورشة عبارة عن جلسات حضورية ورقمية، على أن تقيم كلّ من المجموعات المصرية واللبنانية حدثاً ختامياً في صيدا والإسكندرية لعرض القصص التي تمّ جمعها.
آخر مهلة لتقديم الطلبات هي 31 أيار (مايو) الحالي، فيما يجب أن تُراوح أعمار المشاركين بين 18 و40 عاماً، وأن يكونوا من سكان المدينتين المذكورتين، وأن يمتلكوا موادَّ شخصية (صور وفيديوات) منذ 15 عاماً على الأقل فيهما، وخبرة سابقة في سرد القصص، ويرغبون في تطويرها بالإضافة إلى أن يكونوا مهتمين بأن يصبحوا رواة.
(للاستعلام: info@ishbiliatheatre.com أو mariam@greenishheart.com . رابط التقديم متوافر على موقعنا)

أفضل إعلاميّ رياضيّ: لبنانيان على اللائحة

اختير الزميل شربل كريّم (الصورة) في اللائحة النهائية للمرشحين الستة الذين سيتنافسون على جائزة «أفضل شخصية إعلامية رياضية» لسنة 2021 (تنظيم موقع Sport360). علماً بأنّ جوائز المتفوّقين في صناعة الرياضة ستُوزّع في 25 أيار (مايو) الحالي في أحد فنادق دبي. وكانت لجنة التحكيم في Sports Industry Awards، إحدى أهم المؤسسات الرياضية التي تنظّم احتفالها السنوي في دبي، قد سمّت 6 مرشحين من العالم العربي للتصويت النهائي الذي سيأخذ بأصوات المتابعين. وكان لافتاً اختيار اسمين لبنانيين، هما كريّم وناتالي مامو (المرأة الوحيدة على اللائحة). ينتهي التصويت للمرشحين يوم غدٍ الأحد، ويمكن للراغبين في منح أصواتهم الدخول إلى الرابط التالي: https://spiame.com/2021-public-voting

الأخبار
al-akhbar

السبت 22 أيار 2021
العدد 4346 السنة الخامسة عشرة
Samedi 22 Mai 2021 nº 4346 15ème année

كلمات

ملحق
أسبوعي

www.al-akhbar.com

فلسطين تحطّم الأسوار

محيي الدين اللباد (1940 - 2010) ـ ملصق للانتفاضة الفلسطينية (1987/1988 ـ دار الفتى العربي ـ عن صفحة الفنانة جنى طرابلسي)

لنْ نموتَ، ولكننا سنقتلعُ الموتَ من أرضنا*

نعم لنْ نموتَ، نعم سوف نحيا
ولو أكلَ القيدُ من عظمِنا
ولو مزقتنا سياطُ الطغاة
ولو أشعلوا النارَ في جسمِنا
نعم لنْ نموتَ، ولكننا
سنقتلعُ الموتَ من أرضنا

* معين بسيسو (1928 ـ 1984)، من «دفاتر فلسطينية» (بيروت، 1978)

فلسطين تحطم الأسوار

مبدعون عرب عيونهم على «أرض البرتقال» الثائرة

يتحسّسون أمواجاً خبّوُوها في جيوبهم

«اغرب ما فعلتْه اليوم هو انني تبادلت اولادي مع اخي... اخذت منه اثنين من اولاده واعطيته اثنين من ابنائي. حتى لو تعرضت لقصف الاحتلال يبقى من نسلي احد. ولو قُصف هو يبقى احد من ذريته»... هو الصوت يتقاسمه اهل غزة فلسطين مثل الخبز كما تصفه هذه الكلمات العارية من احد سكان القطاع بدون مواربة او مجاز: نكون او لا نكون في وجه الحمم النازلة من الجو. وطعنات سمك القرش القادمة من البحر. وذئاب المستوطنين مثل يعقوب في الفيديو: «ان لم اسرق بيتك سيسرقه شخص اخر». وانت ايها الغرب: كفى. في دوائر القرار والنخب التي تُعتبر امتداد التلك التي استثمرت في اسرائيل كتُكنة عسكرية غربية في خاصرة اي مشروع عربي ومشرقي قادم. كفى دعماً وسكوتاً وخنوعاً امام اخر احتلال كولونيالي في الزمن الحديث: اسمها فلسطين. رغم المطبّعين والبائعين والمشترين والناكثين والخونة والسفلة إلى اخر اسمائهم القبيحة... في الجليل اسمها فلسطين. وفي اللد وحيفا ويافا وغزة وبئر السبع. وكوفيتها طريف الفوافل وشجر الزيتون وشباك الصيادين. وعلمها ابيض اليمام واخضر النخيل واحمر الدم السائل فوق ترابها والاسود ليل امهاتها الطويل: هاجر المتعبة وسيدة البدايات يأتي إليهاكل من أحبّ ان يواسيها على صفحته الإلكترونية الخاصة بباقة ورد. من شعراء وادباء وروائيين. فقد ظلّ اسمها في قلوبهم ومخيلتهم مقترناً بالبحر والعنب والتين والزيتون... جلنا في «كلمات» على صفحاتهم واخترنا بعض ما كتبوه حول «ارض البرتقال الحزين»، الذي سيزهر لا محالة. فعلى هذه الارض كما يقول محمود درويش: «تردد إبريل، رائحة الخبز في الفجر، تعويذة امراة للرجال، كتابات اسخيليوس، اول الحب، عشب على حجر، امهاتٌ يقفن على خيط ناي، وخوف الغزاة من الذكرياتْ»

(رواد الامين ـ لبنان)

تقديم واختيار **محمد ناصر الدين**

◄ احلام بشارات (شاعرة فلسطينية)

رأيت طريقاً ميتاً على الطريق
وتركته على الطريق
لم يعلمني أحد
كيف أرفع طريقاً ميتاً
عن الأرض
ولا كيف أحتضن
عمارة مكوّنة من أربعة عشر طابقاً
ترتجف

أخاف أن أتصل بأصدقائي الخائفين
لأني لا أعرف
ما الكلمة الأخيرة
التي عليّ أن أقولها لهم
إنها، على كل حال، لن تكون:
اطمئنوا.

أكتب عن السمكة التي نجت من الحرب
ذلك سهل، أن أكتب:
لقد نجت السمكة من الحرب.
أشارك صورة القط المذعور
الذي بلا اسم
ذلك جيد:
أن تكون بلا اسم
فلا يعرف الموت أن يناديك

يحدثني الأصدقاء عن قطة اسمها بقرة
أجل، كنّت بحاجة لسماع كلمة بقرة
وسط هذه الحرب:
فقد جفّ الحليب من قلبي
مع كل هذا الرعب

شاهدت فيديو لطفل غزّي
يحمل قطة لها اسمان
باتمان
وباندا:
أن يكون لك اسمان
ذلك جيد جداً
عندما يناديك الموت، يا صديقي،
أهرب باسمك الثاني

عندما يناديك الموت أيتها القطة قاتلاً:
يا باتمان،

اهربي بسرعة،
فأنت باندا
اسمك باندا
ولن يستطيع الاحتلال
أن يقتل القطة باندا

◄ نصر جميل شعث (شاعر فلسطيني)

فوق الطاولة رؤوس،
تحت الطاولة أقدام.
أنا لا أسمّي الأفكار والأسس،
أنا مرعوب
من هذا التباعد بين الأشلاء.
الجنودُ الجادّون في الحرب
قَصفوا كلّ شيء على الأرض.
وفي نهاية الطلعة
قصفوا السماء من باب المزاح.

◄ سمر دياب (شاعرة لبنانية)

العنب أجمل المفردات. هات لنسمّي
الخذلان عنباً، والطائرات والشوكة
والموت، ولنسمّي أطفالنا جميعاً عنباً...
جاع العنب، نام العنب، خرج العنب في
تظاهرة.
هكذا، إن أصابت رصاصة هدفها أو
أخطأته، تناثرت البذور في كل مكان.

◄ وديع سعادة (شاعر لبناني)

لا يمكن للمثقف إلا أن يكون مع المظلومين
والمسلوبة حقوقهم أينما كان في العالم.

◄ زينب عساف (شاعرة لبنانية)

الوسط الأكاديمي والثقافي العالمي
مختلف اليوم عمّا قبل؛ ثمة صعود
هائل للأخلاقوية وفكرة المساواة.
هناك استعداد أكبر لتقبّل مرويّات
مختلفة (النسوية، الإقليات...) على
الصعيد الإميركي من الضروري ربط
القضية الفلسطينية بحركة الحقوق
المدنية للملوّنين الصاعدة بقوة وذات
التاريخ النضالي الطويل في المجتمع
والابتعاد عن خطاب معاداة السامية.
الصهاينة يحاولون بكل قواهم اختراق
هذا الخطاب. روت لي صديقة أفريقية
أميركية شابّة في ديترويت عن رحلتها
إلى «إسرائيل» وكيف تحوّلت من
مناصرة إلى مناهضة بعدما رأت على
الأرض معاناة الفلسطينيين التي تُشبه
برأيها ما كان يجري في جنوب أفريقيا
من تمييز عنصري. لم تكن تعرف أي
عربي ولم يخبرها أحد إلا حساسيتها
لموضوع كهذا. الرجاء من الجالية العربية
التنبّه لهذه النقطة، لسنا معادين لليهود
ونحنّ احتراماً كبيراً لشخصيات كنعوم
تشومسكي وغيره كثر غير معروفين
في العالم العربي، ولا تخلو مدينة
عربية قديمة من حيّ لليهود. ليست
المسألة معاداة للسامية، هي مسألة
تهجير شعب بغضّ النظر عن المسميات.
معركتنا أخلاقية بالدرجة الأولى. وسلامٌ
على الفلسطيني الجميل إدوارد سعيد
الذي مهّد الطريق لرواية مختلفة كأحد
أبرز وجوه مدرسة ما بعد الكولونيالية.
وعينا ضروري جداً في هذه المرحلة.

◄ إسكندر حبش (شاعر لبناني)

ليس المطلوب إنقاذ حيّ الشيخ جراح
وحده، بل فلسطين بأسرها... وليس
المطلوب إنقاذ القدس وحدها، بل أيضاً
أحبها، ويستعير منها نبضه الجديد. أنا
هنا أبحث عن الوطن الضائع في موّال
شعريّ، وهو هناك يكتشف الأرض فيه.
على عينيه ينمو عشبها وزعترها... ومن
جرحه تتفتّح شقائق النعمان وعروق
الشومر البري. هناك هو تكتبه الأرض،
وتعيد كتابته في كل فصل من فصولها.
وأنا، أنا الذي سرقت منه الكتاب والمدرسة
والمحبرة، أنا هنا أبحث عن الكلمة التي
تصفه، أستعير جلده لأكتب عليه شعري
فيه، ولأشعر ببعض الرضى، لعلّي أتابع
حياتي من جديد.
حسن... أيها الشاب النبيل الذي ظلمناه،
وأنصفته الأرض!

◄ محمد العباس (كاتب وناقد سعودي)

من نواقض الوعي ومفسدات المزاج
مجادلة من يعتقد أن بمقدوره إعطاء
الدروس للفلسطينيين... قبل أن تتورط
في محاورته اسأله: هل توضأت بماء
الكرامة؟

◄ منصورة عز الدين (روائية مصرية)

معظم ما نعلنه من دعم وتأييد
للفلسطينيين تنويعات على العجز وقلة
الحيلة، لكنه ضروري لإبلاغهم بأننا
معهم بقلوبنا على الأقل، ومع هذا نجد
بيننا من يستكثر عليهم هذا الدعم
الخجول، ويصر على اختراع تناقض
وهمي بين دعم القضية الفلسطينية
ودعم غيرها من القضايا.

◄ ربيع شلهوب (شاعر لبناني)

سواء انزلقَت هذه المواجهة وتوقفت مؤقتاً
بفعل تهدئة لا شيء يشي بحدوثها حتى
اللحظة... في الحالتين نحن أمام مرحلة
جديدة تماماً. في أيار 2021 أثبت أبطال
فلسطين أنهم جاؤوا قادرين أن يكونوا
رأس الحربة في معركة تحريرها.

◄ فتحي عبد السميع (شاعر مصري)

الحمقى وأعوان الضلال يقيّمون انتصار
الفلسطيني على العدو بعدد المصابين أو
القتلى أو الشوارع التي تم استردادها أو
ضياعها.
جرعةُ ماء تسري في العروق أكبرُ وأعظم
من نهر يجري فوقَ الحصى والحجارة
دون أن يلمس الشفاه.
في صراع النبلة والدبابة تسقط كل
الأعداد والمقارنات، وجود الصراع في
حد ذاته معجزة، بقاء الفلسطيني الحر
معجزة، لأنه وحيد ومعزول عن أشقائه
في الإنسانية، ولأن العالم بأسره يغمض
عينيه عن دمائه، ويعطي ظهره للقتلة.
أكبر المعجزات تتحقق في أبسط الأمور،
الشهيق أعظم المعجزات، والفلسطيني
الحرُّ يصنع معجزة لأنه بأبسط الأشياء
يُنعش الأحرار في كل مكان، ويحرج
الرقاب التي تتدلى من مشانق الاستسلام
أو تخجل في قيود التطبيع الظالم دون
أن تشعر باختناق أو خجل.
صراع النبلة والدبابة رمزي، وفي عالم
الرموز تسقط الحسابات المنطقية،
وتفقد الخسائر والمكاسب المادية قيمتها
المعتادة، أصغرُ طفل فلسطيني ينتصر
بكلمة أو إشارة، لأنه يثبت أننا على
قيد الحياة وإن تدلّت رقابنا من مشانق
التطبيع والاستسلام، وما دمنا على قيد
الحياة فكل خسارة صغيرة، وكلّ معجزة
يمكن أن تتحقق، حتى معجزة استرداد
الفلسطيني لترابه المسلوب.

◄ زياد خداش (شاعر وقاصّ فلسطيني)

بالصدفة أمام بحر يافا، جلستُ قربه
على صخرة، كان طلابه أمامه يصنعون
من الرمل مدينةً وكان طلابي أمامي
يصنعون من الموج مدينة. كانت مدينة
طلابي تندفع نحو مدينة طلابه
وتمحوها، فيعاود طلابه بناء مدينتهم،
ويعاود طلابي تدميرها.
كاملاً بينون ويدمّرون.
قال: «قبل أربعة آلاف سنة عاش أجدادي
اليهود هنا، فأنا من هنا، هذا كله يقوله
التاريخ وليس أنا. بالمناسبة أنا مدرّس
تاريخ»
قلت: «قبل التاريخ عاش أجدادي
الفلسطينيون هنا، فأنا من هنا، هذا كله
يقوله البحر وأنا، بالمناسبة، أنا مدرس
حب».
في الطريق إلى رام الله، كنت أؤكد لطلابي
أن الرمل يكذب،
وأن الموج يهزأ من حدّ العاصفة.
وكانوا يهزئون رؤوسهم مصدّقين وهم
يتحسسون أمواجاً خبّؤوها في جيوبهم.

◄ مروان علي (شاعر سوري)

لي في فلسطين
ألف صديق
لي هناك
شجرة برتقال كردية
شجرة من الحبّ
وشمس صغيرة
تركها صلاح الدين
خلفه
كي نعود إليها.

◄ عبد الرحيم الخصار (شاعر مغربي)

الوضع الطبيعي للكاتب والفنان،
المفرد والأعزل، هو أن يكون في الصف
الفلسطيني. أي اختيار آخر هو انتماء
صريح إلى الخيانة.

نسخة موسّعة على موقعنا

فلسطين تحطم الأسوار

خلال العدوان الصهيوني الراهن على شعب فلسطين، والذي بدأ بمحاولة تهجير أهالي الشيخ جراح في القدس، واقتحام المسجد الأقصى والاعتداء على المصلين في داخله، تألّقت مدن فلسطين كلها في القطاع والضفة في عملية التصدي البطولي لهذا العدوان وشاركت مدن المناطق الفلسطينية المحتلة سنة 1948 بنشاط وكثافة وبسالة أذهلت العدو، بل حتى الصديق. ومن فلسطين المحتلة سنة 1948، برزت مدينة اللد التي استولى على مركزها الشبان الفلسطينيون المنتفضون وانزلوا العلم الصهيوني ورفعوا العلم الفلسطيني بدلاً منه. هنا جولة تعريفية بمدينتَي غزة واللد عبر التاريخ

غزّة واللد... بطلتان عبر التاريخ

علاء اللامي *

غزة ه اشم: همزة الوصل

هي غزة، التي كان اسمها عند الكنعانيين هزّاتي وعند الفراعنة غزاتو وعند الآشوريين الرافدينيين عزات، وعند العرب غزّة هاشم.
في القرن الثاني عشر ق.م، كانت غزة واحدة من المدن الخمس التي بناها شعب الفلسطة المهاجر إلى الساحل الفلسطيني الجنوبي من جزر شرقي البحر المتوسط كما يعتقد باحثون، أو التي بناها الكنعانيون أصلاً، وهاجر إليها وسكنها المهاجرون الفلسطة واندمجوا بسكانها الأصليين كما يعتقد باحثون آخرون، إلى جانب مدن أخرى هي: عسقلان، أسدود، جت وعقرون، في الساحل الجنوبي ما بين يافا ووادي العريش.
سمّاها العرب «غزة هاشم» نسبة إلى هاشم بن عبد مناف، الجد الثاني للنبي العربي الكريم محمد بن عبدالله، أما جده المباشر أو الأول، فهو عبد المطلب بن هاشم الذي توفي في التسعينيات من عمره، وكان هاشم واحداً من كبار تجار الحجاز، وهو الذي سنّ لهم رحلتَي الشتاء والصيف اللتين يتحدث عنهما القرآن الكريم، وتوفي في غزة شاباً في الثلاثينيات من عمره ودُفن فيها في القرن الخامس الميلادي. وبهذا، فغزة هاشم تؤكد حقيقتين: الأولى أنها كانت همزة وصل بين فلسطين والجزيرة العربية، وخصوصاً الحجاز واليمن، على مرّ العصور قبل الإسلام وليس بعده كما يقول الصهاينة، ومن والأهم من كتبة ماجورين يريدون قطع الصلة بين الفلسطينيين وبلادهم الأصلية فلسطين، ويكررون القول أو الإيحاء بأنهم مهاجرون كلهم جاؤوا من بلاد عربية أخرى. والحقيقة أن هجرة الأقوام الجزيرية «السامية» بين أقاليم المشرق العربي حقيقة واقعة، لكنها ليست كل الحقيقة. فهناك شعوب أصلية وأخرى مهاجرة تندمج بالسكان الأصليين كما اندمج شعب الفلسطة البحري بالكنعانيين، والفلسطينيون العرب اليوم شعب أصيل وعريق وهو وريث الشعوب القديمة وفي مقدمتها شعب الفلسطة والكنعانيون ومن هؤلاء، اليبوسيون بناة أورسالم/ القدس والأدلة على هذه الحقيقة لا تُحصى وأخرها الأدلة الوراثية الجينية.
قبل الإسلام بقرون عدة، كانت غزة مركزاً تجارياً كبيراً للتجار العرب الجزيريين من الحجاز واليمن كما قلنا، ويبدو أنّ العرب كانوا على اتصال وثيق بالشطر الجنوبي من الساحل الفلسطيني منذ ظهورهم في التاريخ. ففي المدونات التاريخية، نقرأ أنّ تاجراً مكياً يسمّى عقبة بن أبي معيط كان له ـ قبل الإسلام ـ متجر كبير في مدينة صفورية القريبة من الناصرة. أما أبو سفيان، فقد كان يملك عقارات ومتاجر في فلسطين.
شاركت غزة في عصر دويلات المدن ـ في ما نسميها اليوم بلاد الشام. في ثورات هذه المدن ضد الغزاة ومن ذلك: في 720 ق.م، اندلعت ثورات ضد الهيمنة الآشورية في حماة وغزة ودمشق والسامرة، بتحريض ودعم مصريّين على الأرجح، واستطاع سرجون الثاني الآشوري أن يقضي على هذه الثورات، في ولايات الشمال الشامي، في موقعة «قرقرا»، ثم زحف جنوباً حتى وصل إلى ربيحو «رفح»، فاوقع هزيمة نكراء بـ «سيبو» قائد جيوش مصر الفرعونية، الذي أرسله الفرعون لنجدة حنون «هانُو» ملك غزة، فانسحبت القوات الفرعونية وتركت غزة تواجه مصيرها وحيدة.
لقد حاولت مصر الاستمرار في دعمها للممالك الفلسطينية ضد غريمها الرافديني الآشوري، فتشجّع حنون ملك غزة - وكان لاجئاً سياسياً في مصر - على الثورة ضد الدولة الآشورية، وأمر الفرعون قواته في ربيحو «رفح» بقيادة سيبو بدعم الثائرين الفلسطة. وحين بدأ الصدام العسكري، هرب القائد الفرعوني سيبو ودمّر سرجون الثاني مدينة رفح وأسر ملكها حنون.
نافست مدينة ومملكة غزة مملكة صور الفينيقية شمالاً في عنادها وصمودها الأسطوري. ولم تتعظ من نهاية جارتها الشمالية المأساوية، التي دفرها الإسكندر المقدوني وأسر سكانها بالجملة، فلم يتعامل مع المدينة الجريحة صور بشهامة كما فعل الملك الرافديني نبوخذ نصر سنة 585 ق.م، الذي احترم أهلها ولم يؤذهم، بل فتحت الجيوش المقدونية بأهلها بقسوة بعدما قاتلوا قتال الأحرار المستميتين، وباع الإسكندر أكثر من ثلاثين ألفاً من سكانها، نساء وأطفالاً، في أسواق الرقيق سنة 332 ق.م. وصمدت غزّاتو تقاتل قتالاً بطولياً ضد جيش الإسكندر بن فيليب، شارك فيه جميع أهلها في تجربة حرب شعبية هي الأولى من نوعها في التاريخ البشري المعروف. وكان يقود قواتها الشعبية ضابط إغريقي مهاجر يعيش فيها ويدعى باطيس، واستمر القتال على أسوار غزة بين شهرين إلى أربعة أشهر حسب الروايات، ثم دخلتها جيوش الإسكندر بعد تدميرها، وقبض الغزاة على القائد الغزاوي باطيس، وأمر الإسكندر بإعدامه بطريقة وحشية. ونهب الغزاة بضائع التجار العرب، ولا سيما العطور والبخور، ووزّعها الإسكندر على أعوانه ورجال دولته.

اللد الكنعانية فالعربية: صمود اسطوري

تقع اللد على بعد 38 كم شمال غرب القدس وعلى مسافة 16 كم جنوب شرق يافا و5 كم شمال شرق الرملة. يعود تاريخ بنائها إلى الألف الخامس ق.م، من قبل الكنعانيين. كانت تُسمّى في عصر الفراعنة تحتمس الثالث بـ «رتن»، وفي عهد الرومان دُعيَت باسم «ديوسبوليس» ذُكرت في الكتاب المقدس (العهد القديم) عدة مرات وعُرفت بـ «لُد» بضم اللام، وغيّر اليونانيون اسمها إلى ليدا (Lydda)، وذكرها باقوت الحموي في معجمه وقال إن لُد بالضم والتشديد، وهو جمع الد والأد تعني الخصومة، ولا أرجح هذا التخريج للاسم تأثيلياً «إيتمولوجياً». وذكر أحد الباحثين أن «اسم اللد نسبة إلى «الليديين» وهم الشعب الذي استوطن سواحل آسيا الصغرى الغربية والواقعة على بحر إيجة، وهاجرت بعض شعوب هذه الجزر كشعب الفلسطة الى سواحل فلسطين فخلدوا الليديين بتسمية بلدة اللد». ولا أرجح هذا التخريج أيضاً لانعدام وجود ما يؤكده إنّاسياً وتأثيلياً.
في الماضي كانت اللد عاصمة منطقة وسط فلسطين، وفي فترة الفتح العربي الإسلامي اتخذها عمرو بن العاص عاصمة لجند فتح فلسطين عام 636 م. واستمرت كذلك حتى تأسيس مدينة الرملة عام 715م التي أصبحت مركزاً مهماً في فلسطين. احتلت قوات الفرنجة «الصليبية» في ربيحو «رفح» بقيادة سيبو بدعم الثائرين الفلسطة. وحين بدأ الصدام العسكري، هرب القائد الفرعوني سيبو ودمّر سرجون الثاني مدينة رفح وأسر ملكها حنون.
نافست مدينة ومملكة غزة مملكة صور الفينيقية شمالاً في عنادها وصمودها الأسطوري. ولم تتعظ من نهاية جارتها الشمالية المأساوية، التي دفرها الإسكندر المقدوني وأسر سكانها بالجملة، فلم يتعامل مع المدينة الجريحة صور بشهامة كما فعل الملك الرافديني نبوخذ نصر سنة 585 ق.م، الذي احترم أهلها ولم يؤذهم، بل فتحت الجيوش المقدونية بأهلها بقسوة بعدما قاتلوا قتال الأحرار المستميتين، وباع الإسكندر أكثر من ثلاثين ألفاً من سكانها، نساء وأطفالاً، في أسواق الرقيق سنة 332 ق.م. وصمدت غزّاتو تقاتل قتالاً بطولياً ضد جيش الإسكندر بن فيليب، شارك فيه جميع أهلها في تجربة حرب شعبية هي الأولى من نوعها في التاريخ البشري المعروف. وكان يقود قواتها الشعبية ضابط إغريقي مهاجر يعيش فيها ويدعى باطيس، واستمر القتال على أسوار غزة بين شهرين إلى أربعة أشهر حسب الروايات، ثم دخلتها جيوش الإسكندر بعد تدميرها، وقبض الغزاة على القائد الغزاوي باطيس، وأمر الإسكندر بإعدامه بطريقة وحشية. ونهب الغزاة بضائع التجار العرب، ولا سيما العطور والبخور، ووزّعها الإسكندر على أعوانه ورجال دولته.

اللد الكنعانية فالعربية: صمود اسطوري

تقع اللد على بعد 38 كم شمال غرب القدس وعلى مسافة 16 كم جنوب شرق يافا و5 كم شمال شرق الرملة. يعود تاريخ بنائها إلى الألف الخامس ق.م، من قبل الكنعانيين. كانت تُسمّى في عصر الفراعنة تحتمس الثالث بـ «رتن»، وفي عهد الرومان دُعيَت باسم «ديوسبوليس» ذُكرت في الكتاب المقدس (العهد القديم) عدة مرات وعُرفت بـ «لُد» بضم اللام، وغيّر اليونانيون اسمها إلى ليدا (Lydda)، وذكرها باقوت الحموي في معجمه وقال إن لُد بالضم والتشديد، وهو جمع الد والأد تعني الخصومة، ولا أرجح هذا التخريج للاسم تأثيلياً «إيتمولوجياً». وذكر أحد الباحثين أن «اسم اللد نسبة إلى «الليديين» وهم الشعب الذي استوطن سواحل آسيا الصغرى الغربية والواقعة على بحر إيجة، وهاجرت بعض شعوب هذه الجزر كشعب الفلسطة الى سواحل فلسطين فخلدوا الليديين بتسمية بلدة اللد». ولا أرجح هذا التخريج أيضاً لانعدام وجود ما يؤكده إنّاسياً وتأثيلياً.
في الماضي كانت اللد عاصمة منطقة وسط فلسطين، وفي فترة الفتح العربي الإسلامي اتخذها عمرو بن العاص عاصمة لجند فتح فلسطين عام 636 م. واستمرت كذلك حتى تأسيس مدينة الرملة عام 715م التي أصبحت مركزاً مهماً في فلسطين. احتلت قوات الفرنجة «الصليبية» مدينة اللد. وفي عام 1267م، وبعد هزيمة واندحار جيوش وممالك الفرنجة، ضمّها السلطان بيبرس إلى مناطق نفوذه.
وفي العهد العثماني، عام 1516م، كانت اللد قرية تابعة لقضاء الرملة، واكتسبت أهميتها السياحية من وجود قبر القديس جورجيوس الذي ولد سنة 280م وقتله الإمبراطور الروماني دقلديانوس، تحت 1870م. وفي عام 1914م، إندلعت الحرب العالمية الأولى وجُنّد شبان المدينة للاشتراك في الحرب التي انتهت بزوال الحكم العثماني على البلاد. وفي عام 1917م، انسحب الجيش العُثماني من اللد عند اقتراب الجيش البريطاني منها، وأصبحت اللد تحت الحكم العسكري البريطاني الذي شكّل لاحقاً حكومة الانتداب البريطاني على فلسطين.
بعد قيام الكيان الصهيوني في 14 أيار (مايو) 1948، شنّت الميليشيات الصهيونية عملية عسكرية واسعة في اللد والرملة للاستيلاء على البلدة ومطارها وفشلت عدة مرات. وفي 10 تموز (يوليو) 1948، وحين نفد عتاد المدافعين عنها، تمكنت من احتلالها بخدعة رخيصة، حيث دخلتها بلباس الجيش الأردني بعدما روّجت شائعات مفادها أنّ قطعاً من هذا الجيش ستدخل المدينة للحيلولة دون سقوطها في أيدي الصهاينة. وارتكبت العصابات الصهيونية بعد احتلالها مجزرة بشعة (من مجازر عديدة مسكوت عنها) بحق المصلين والمدنيين. قتل الصهاينة عند دخولهم اللد 426 عربياً منهم 176 قُتلوا في «مسجد دهمش». وبعد المجزرة، ظلّ المسجد مغلقاً لأكثر من نصف قرن، حتى تمّ ترميمه وافتتاحه من جديد عام 2002. وقد ذكر الداخلون إلى المسجد بأنهم قبل أن يبدأوا بأعمال الترميم، شاهدوا آثار المجزرة باقية ومنها بُقع حائلة من الدم الجاف على جدران وأرضية المسجد.
أما «مطار اللد» الذي أطلق عليه الكيان الصهيوني اسم «بن غوريون»؛ فقد افتُتح من قبل سلطات الاحتلال البريطاني عام 1937 وأطلقت عليه اسم «مطار فلهيلما». ثم أصبح المطار الدولي لفلسطين حتى بعد قيام الكيان الصهيوني حيث غيرت السلطات الإسرائيلية اسمه ليصبح «مطار اللد». وحين توفي مجرم الحرب دافيد بن غوريون عام 1973، قررت سلطات الكيان تغيير اسمه ثانية ليصبح «مطار بن غوريون الدولي».
في اللد بقيت نسبة سكانية مهمة من الفلسطينيين. واعتبر الكيان الصهيوني أن اللد تم تهويدها وصهينتها كسائر مناطق فلسطين التي احتُلت سنة 1948، لكن شباب المدينة انتفض في الانتفاضة المجيدة بقوة أذهلت الصهاينة وغير الصهاينة، فسيطر الشباب على مركز المدينة وأنزلوا العلم الصهيوني ورفعوا علمهم الفلسطيني. وقد بلغ هذا النضال إحدى ذراه المهمة في الإضراب العام يوم 18 أيار الماضي في عموم فلسطين. لقد جاءت انتفاضة الفلسطينيين في مناطق 48 بزخم أقوى ومشاركة أكثف هذه المرة بعدما أسفر الكيان الصهيوني عن حقيقته العنصرية الرافضة للآخر ولو كان صاحب الأرض حين قرر أن يسنّ قانوناً يعتبر «إسرائيل» دولة قومية خاصة باليهود فقط، وقد صوّت عليه الكنيست باسم «قانون الدولة القومية لليهود في إسرائيل»، بتاريخ 19 تموز (يوليو) 2018. وطلب الكيان من الرسميين الفلسطينيين في سلطة أوسلو البائسة الاعتراف بيهودية كيانهم، لكن السلطة لم تجرؤ على الموافقة حتى الآن. وقد جاءت انتفاضة فلسطيني مناطق 48 لتؤكد هويتهم الفلسطينية العربية في كيان عنصري يرفض الاعتراف بهم كمواطنين متساوين مع غيرهم، ويعتبرهم من الدرجة الأدنى. وها هو الكيان يحصد خيبة جديدة بعدما داس شباب اللد وغيرها من مدن فلسطين 48 على هذا القانون وأكدوا هويتهم الوطنية مجدداً، فطار صواب الصهاينة.
اللد أيضاً هي مسقط رأس القائد الفلسطيني الراحل وحكيم الثورة الفلسطينية جورج حبش. وقد تحدث عن ذكرياته طفلاً فيها وعن تهجيره هو، ومن تبقّى من عائلته منها في مذكراته «صفحات من مسيرتي النضالية». ومن اللد أيضاً، القائد حسن سلامة، أحد قادة المنظمات العربية الفلسطينية الذي استشهد عام 1948، وابنه القائد علي حسن سلامة الذي استشهد عام 1979.
سلاماً إلى غزة وأهل غزة وسلاماً إلى اللد وإلى شباب اللد الشجعان... سلاماً إلى عموم فلسطين وأهلها من الماء إلى الماء وهم يصنعون تاريخهم وتاريخنا!

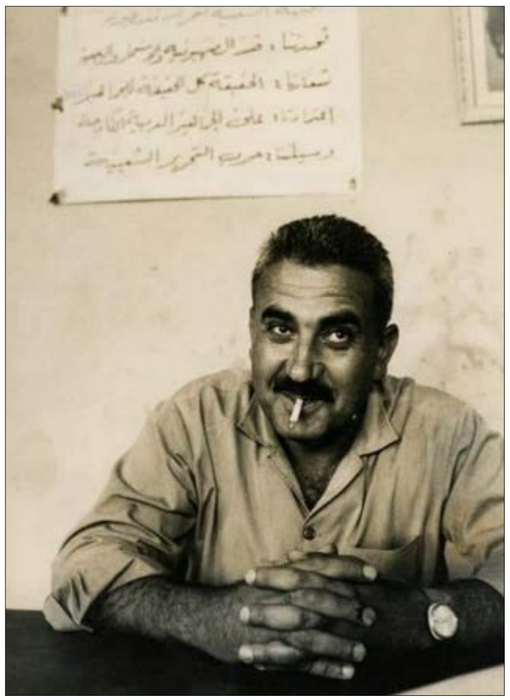

الداريخ هي مسقط رأس القائد الراحل وحكيم الثورة الفلسطينية جورج حبش

*كاتب عراقي

** بعض الفقرات الخاصة بغزة القديمة مقتبسة من كتاب علاء اللامي «موجز تاريخ فلسطين منذ فجر التاريخ وحتى الفتح العربي الإسلامي» (دار الراعي - سنة 2019)

فلسطين تحطم الأسوار

الابتسامة في وجه عدوّك... «صدقة»

طالب شحادة

فرضت الذائقة العربيّة الكلاسيكية الفنيّة والفكرية، على مدى عقود، عناصر عدَّتْها من سبل الإجادة والشعرية بشكل عام. فيطالعك في احتكاك الشاعر العربي لقرون بمسألة الغياب والمكان المتهدّم الممحوّ، أي الأطلال بما هي رمز ووسيط بين الغائب المطلوب والحاضر المسلوب الفارغ، موقفه الذي يتمثل بالوقوف والبكاء تحت عنوان ذي انعكاس نوستالجي: «قفا نبكِ». تضاف إلى ذلك عناصر عديدة منها المضامين المختلفة التي لا مجال لذكرها هنا، وعموديّة النظم الموزون والمنظم، ما أنتج بنيةً فكريّة (شعريّة) سلطويةً تأخذ قوّتها و«جزالتها» من عموديّتها التراتبية. بعيداً عن المجال الأدبي، حصلت زعزعة هذا النظام الفكري أخيراً، ضمن احتكاك الفلسطيني مع الغياب المفروض من السلطة المحتلة، مستبدلاً هذه المرّة البكاء على طلل متهدّم بالابتسامة أثناء الاعتقال. ولا يخفى بين الحالتين اتّضاحُ الاشتراك بفكرة الاعتقال، فالأول «معتقل» من قبل الماضي مستسلماً لحنينه وأساه، وهي سلطة الغياب النفسية، أما الثاني فمعتقل في الحاضر عبر كيان يفرض الغياب، وبشكل أوضح «الطرد» والتهجير من المنازل العامرة لا الطللية. هناك تغيّر حاصل في البنية.

لحظ الناشط المعتقل هذه الكيفية في زعزعة العمل السلطوي القهري، فإذا استخدم الشعراء الحداثيون هذه الأساليب من نكتة وبرعاية وتخريب وبعثرة للنسق العمودي المتعاهد وبنيته ابتغاء شعرية مختلفة، فإن الأمر نفسه هو ما فعله المعتقل في الحياة الواقعية، مقوياً بذلك موقف وجوده وحضوره عبر الابتسام أثناء القمع التغنيبي. في حين كان الشاعر الكلاسيكي يتقشّى في الطلل والطلل يتسرّب في روحه، جاعلاً من حضوره نوستالجيا تمنع الحاضر، كما يطالعك البيت «لك يا منازل في القلوب منازلُ» مثلاً... نصل بذلك إلى التالي: البكاء فعل غياب أمام أسباب هذا الغياب وأشكاله وأحوالها بصلة، سيميل مباشرة إلى الإنساني في الصورة الذي ينعكس بفعل الابتسامة أمام تجهّم الكثرة المحيطة بالشخص المبتسم، وتعرية موقفهم بشيء طفيف مثلها. بالتالي سيتوجّه المشهد بدعوة إلى الوعي الإنساني، فاتحاً الباب أمامه إلى الوعي السياسي.

قد لا يبدو هذا الأمر أكثر من ارتجال ضمن أمر واقع، ولكنّ تواتر ما يبدو ارتجالاً ما، وتأثيره بالوصول إلى العالم على أنه نوع من إضاءة الموقف برمّته، ذلك يقرّبه أكثر من وصفه بالحراك، ويجعله كلما تكرر أكثر وجرى الاقتداء به، شكلاً من أشكال المقاومة الشعبيّة. وقد يقول قائل إن في الأمر عبثية ما، لكن كيف يكون لعبثية نتيجةٌ ملموسة، إن كان كما أسلفنا في جذب الأنظار، أو في إبراز المشهد رمزيّاً على حقيقته. بل على العكس، فالفعل أقرب إلى تسخير العبثية نفسها سلاحاً، فهي عبثيّة على المدى القريب، وبقيّ الكفاح من أجل التحرر على المدى الطويل، وليس انتهاءً بالمقاومة الفردية فالاعتقال فحسب.

يتفشّى هذا التضاد عبر كل شيء إذن، اشتباك كامل، بدأ بشكله المبدئي هكذا: جندي/رجل، جندية/امرأة، رصاصة/حجر، صاروخ/مقلاع، وأخيراً بدأ يُضاف إليها: اعتقال/ابتسامة موجّهة، قبّة حديدية/رشقة صواريخ... إنّه هدم داخلي للتسلط عبر وتر التضادّ، وخلق تقابلات وانزياح عن المعنى المتواتر في إشارة ملحّة، كذلك الأمر إلى فضح التناقض الموجود بين محتلّ وارض لا يملكها فعلياً. إن كلمات مثل «تضادّ - تقابل- انزياح» تجتمع مع الأسلوبية في الكتابة، فهل في استطاعتنا الكلام هنا عن: شعريّة هذا الفعل خارج النطاق الكتابي؟

على أي حال، فالمؤكد أنّه بين كل انتفاضة وأخرى، وصولاً إلى نهاية مرتقبة، تصدّر المقاومة الفلسطينية أشكال كفاحها المتجدد، تصيب بشكل مباشر وغير مباشر، وتترك خلفها كل مرة قولاً جديداً تلتقت إليه، قولاً لا ينتهي مع كلّ تكتل لانغلاق جديد. تكون على وشك القول بأنها انغلقت، فينتفضون.

> بين كل انتفاضة وأخرى، تصدّر المقاومة الفلسطينية أشكال كفاحها المتجدّد

بمقابلته مع فعل الذي يملك السلطة القهرية، بما يحمله من تنظيم وتركيز على تكبيل وتوجيه الإنسان بالعنف إلى عبرة الحبس، أي قمّة القصديّة، فسوف تعود الابتسامة إلى إصابة عنصر العفوية لِلّذي يرى الصورة من بعيد. إنّها ساحة كاملة للتناقضات، مقصودة من وعيه به أولاً، تكرُّر هذه الصورة لعدّة أشخاص، مثيرة نحوهم الانتباه عبر التناقض والتضاد الحاصلَيْن في الصورة، تتقاطع حينئذ فرادة الحدث الفلسطيني، جماعياً وفردياً، في وسائل التواصل، مع فرادة تعامل أفراده في خضمّه من جهة، ومن جهة أخرى، يحصل التقاطع عبر إصابة أساليب الرواج في عالم الميديا، حيث إن الغرابة والتجديد إنسانياً في التعامل مع حدث ما، ولو عبر ظاهرة بسيطة كابتسامة، بلقيان فضولاً وتهافتاً لتحرّي الأمر أضعفَ الإيمان.

وتنطلق رحلة هذه الصور إلى التلقّي التاسع في العالم، واختلاف انتفاضة وأخرى، وصولاً إلى نهاية الطرف الأقل قوّة من حيث الأدوات والحيثيات.

لا يحتاج هذا الفعل الإنساني الضئيل في حجمه إلى اعتراف أو تبنٍ مقاومته، هو باختصار فعل مقاومة، يعرّي المشهد القتغيبية، عبر وعي فاعله بما يفعله: «ابتسم أمام الكاميرا أثناء اعتقالي». يثبت الطرف الأقل قوّة من حيث الأدوات والحيثيات.

لا يحتاج هذا الفعل الإنساني الضئيل في حجمه إلى اعتراف أو تبنٍ مقاومته، هو باختصار فعل مقاومة، يعرّي المشهد القتغيبية، عبر وعي فاعله بما يفعله: «ابتسم أمام الكاميرا أثناء اعتقالي». يثبت من البداية أولاً هو التالي:

المشهد أولاً هو التالي:

فتاة/رجل/طفل، يتعرّض للاعتقال من قبل عدوّ، يزيّ خدمته، وبالأوامر التي توجّه إليه، مجهّز بكل المعدات القمعيّة، الدفاعيّة والهجوميّة، أكثر عدداً، والمعتقل/ة مصفّد اليد لما وراء الظهر منعاً لمقاومته التي تبدر كردّ فعل مباشر بامر دماغي إلى اليد أداة التصرّف الأولى للإنسان. رد الفعل الدفاعي هذا تلقائي عادةً ونتيجته لا تتعدى الضرب الانفعالي، خصوصاً إن كنت محاصراً من كل الجهات. وفي هذا المشهد بالضبط، وأثناء تنقّل الكاميرا وتغطيتها لعملية الاعتقال، في إحدى اللحظات ولِلَونٍ معدودة، يحصل التالي: يتّجه المُعتقل المكبّل بوجهه إلى بؤرة الكاميرا، وتبرز على فمه ابتسامة بشوشة، ثمّ: لقطة.

من الطبيعي أن الابتسامة تُعدّ من مفردات العادي واليومي الروتيني، ما يصاحب الجلوس باسترخاء والدردشة عن آخر الطرائف والأخبار اليومية والأحداث التي تمرّ مع أحد طرفي الحديث، ويكون إبرازها في هذه الحالة نتيجة لعلامة رضى ومرح أو علامة تملّق للمحدّث أو مجرد لباقة. وهي في كل هذا غير أساسية في مجريات الحديث أو أحد مقوماته التي قد ينتفي من دونها. لكن ماذا لو انتقلت هذه اللفتة اليومية من ضمن العادي إلى موقفٍ بعيد عنها كل البعد، بل حتّى هو النقيض الفطري في الموقف: الابتسامة كردّة فعل على التعرّض للاعتقال. من خلال الملاحظة، إن أول فرضية تسقط هي التلقائية، التي وإن كانت مُتَوَقّعةً من فعل كهذا، إنّما هي في بدايتها الأولى، ردّة فعل مقصودة. وإن وضعنا هذا الفعل

اللوبي الصهيونيّ يريد رأس ديفيد ميلر

لندن ـ **سعيد محمد**

يعلّم أستاذ علم الاجتماع السياسي البريطاني البارز ديفيد ميلر، مقرّراً لتلاميذه في «جامعة بريستول» عن الأضرار التي تتسبب فيها النُخَب ومركزات السلطة للمجتمعات. ومن عناوين هذا المقرر موضوعة «الإسلاموفوبيا»، تلك الظاهرة الخطرة التي ما لبثت تسمّم المجتمعات الغربية وتضع لذوي البشرة البيضاء فيها غشاوة على أعينهم تمنعهم من تكوين آراء واقعيّة بشأن العدوان الإمبريالي الغربي المستمر ضدّ نطاق عريض من بلدان الجنوب، وتتسبب في استقطابات أهليّة حادة ضد مواطنيهم المسلمين وأيضاً المهاجرين بشكل عام. ومن الواضح أن مثل تلك الظاهرة تخدم حصراً أهداف النخبة المهيمنة على الثروة والسلطة في الغرب، وتضيّع طاقة الطبقات العاملة في حروب ثقافيّة لا طائل من ورائها. وفي هذا المقرر، يدرّس ميلر - وهو أحد أهم خبراء الإسلاموفوبيا في العالم - نظرية «الزكائر الخمس» لرهاب الإسلام التي تحلل وتقبض على مختلف الجهات السياسية الفاعلة وراء نشر ذلك الرهاب على صعيد عالمي. وبحسب هذه النظريّة التي صاغها ميلر مع زملاء له (انظر بالإنكليزية كتاب «ما هي الإسلاموفوبيا؟ عن العنصريّة والحركات الاجتماعيّة والدولة» من تحريره - 2017)، فإن جهات خمساً تتقاطع على إنتاج هذه الظاهرة، لخدمة أجندات سياسيّة مشبوهة: أجزاء من الحركة الصهيونية؛ وصناعة «مكافحة التطرف» (ولا سيما أجهزة الدّولة المكلّفة بمكافحة الإرهاب)؛ واليمين المُتطرف؛ وحركة المحافظين الجدد؛ والنخب النيوليبرالية.

ويبدو أن الحرب التي شنّها اللّوبي الصهيوني البريطاني بلا هوادة على جريمي كوربن مرشح يسار حزب العمّال المعارض لمنصب رئيس الوزراء قبيل الانتخابات العامة عام 2019 قد رفعت من حساسية بعض عتاة الصهاينة المُنضوين تحت منظمة تطلق على نفسها اسم «وقفية أمن المجتمع» (The Community Security Trust) التي وصلها تسجيل لمحاضرة ميلر بينما يشرح النظريّة لتلامذته، فاعتبروها هجوماً غير ساميّ، كعادة اللوبي الصهيوني البريطاني في خلط المفاهيم بين انتقاد الصهيونية السياسيّة والهمجية الإسرائيلية ضد الفلسطينيين والسوريين بالعداء لليهوديّة كديانة. هكذا، شرعوا من فورهم بالضغط على «جامعة بريستول» لطرد البروفيسور من منصبه الأكاديمي ومنع تدريس أي مقررات عن علاقة الصهيونية بصناعة الإسلاموفوبيا والأضرار التي تتسبب بها تلك العلاقة للمجتمعات الغربية. وقد تحرّك نواب بريطانيّون (من طرفي الحكومة والمعارضة معاً) في مجلس العموم بإيعاز من اللوبي الصهيوني لإثارة المسألة في البرلمان. تبيّن بعد التدقيق بأن جميع أولئك النوّاب المنتخبين - نظريّاً - لتمثيل المواطنين البريطانيين، يتلقون مساهمات مالية سنويّة مباشرة من جهات صهيونيّة وصلت لدى بعضهم إلى أكثر من 115 ألف جنيه إسترليني (165 ألف دولار أميركي).

ولاستكمال الحملة، تقدّم «اتحاد الطلبة اليهود»، بشكوى لدى رئاسة «جامعة بريستول» ضد ميلر، وطالب بوقفه عن التدريس. والاتحاد المذكور مجموعة طالبية موالية لإسرائيل تنتشر عبر مؤسسات التعليم العالي في المملكة المتحدة تديرها وتموّلها السفارة العبريّة لدى لندن وفق ما أثبت تحقيق صحافي سريّ استقصائي. وتثير هذه المجموعة رعب الأكاديميين الذين قد يتبادر إلى ذهنهم توجيه أي انتقادات علنيّة للدولة العبريّة أو لأي من سياساتها الإجراميّة ضد أهل البلاد الأصليين. ويُلزم دستور الاتحاد - المعلن - أعضاءه بتقديم «التزام دائم» تجاه «إسرائيل» والانخراط في حملات لإسكات منتقدي الحركة الصهيونية أو الدولة العبريّة في الجامعات والمؤسسات الأكاديمية البريطانية.

وتقوم مجموعات الضغط التي تديرها الدولة العبريّة بتناقل «أفضل الممارسات» بين امتداداتها عبر العالم. وتستفيد واجهاتها في بريطانيا مثل «الوقفيّة» و«الاتحاد...» المشاركين في الحملة ضد ميلر من خبرة حملات مؤذية نفّذها اللوبي الصهيوني في الولايات المتحدة ضدّ أساتذة وأكاديميين في مؤسسات التعليم العالي هناك بسبب عملهم الذي يتضمن نقداً فكريّاً أو تاريخياً

> حملة صهيونية لطرده من «جامعة بريستول» في بريطانيا بتهمة معاداة السامية!

للمشروع الصهيوني أو لتصريحات أدلوا بها حول فلسطين أو توجيههم أدنى انتقاد للحركة الصهيونيّة أو دولة «إسرائيل». لم توفّر تلك الحملات حتى أكاديمياً يهودياً مرموقاً مثل البروفيسور نورمان فينكلشتاين، ناهيك بالأكاديميين من أصل عربي كجوزيف مسعد أو الأميركيين أمثال كورنيل ويست ومارك لامونت هيل وغيرهما.

ومن المعروف أنّ «اتحاد الطلبة اليهود» في بريطانيا عضو مؤسس لـ «الاتحاد العالمي للطلبة اليهود» الذي يقوم بحملات لتعزيز روابط منتسبي الجامعات والأكاديميات من اليهود مع الدولة العبريّة في مختلف الدول، ويتولى إصدار موادّ ومطبوعات لمساعدة الأعضاء في الدفاع عن المشروع الصهيوني. يعمل الاتحاد العالمي تحت رعاية «المنظمة الصهيونية العالمية» التي يُعتبر مؤتمرها العام أعلى سلطة لصنع القرار في تلك الحركة (يلتئم مرّة كل خمس سنوات) ويتولى تشكيل سياسات المؤسسات الإسرائيلية المسؤولة عن تمويل المشروع الاستيطاني المستمر في فلسطين والنهوض بالأولويات الاستراتيجية لدولة إسرائيل. وتتواجد اثنتان من تلك المؤسسات: «الوكالة اليهودية لإسرائيل» وفرع «مؤسسة كيرين هايزود» (المعني بجمع التبرعات للحركة الصهيونيّة) علناً في المملكة المتحدة. وتدعم المنظمة وتنسق بشكل وثيق مع اتحاد الطلبة اليهود في بريطانيا، وتلجأ أحياناً إلى القضاء لفرض توجهاتها.

ومن المعروف أنّ «اتحاد الطلبة اليهود» في بريطانيا عضو مؤسس لـ «الاتحاد العالمي للطلبة اليهود» الذي يقوم بحملات لتعزيز روابط منتسبي الجامعات والأكاديميات من اليهود مع الدولة العبريّة في مختلف الدول، ويتولى إصدار موادّ ومطبوعات لمساعدة الأعضاء في الدفاع عن المشروع الصهيوني. يعمل الاتحاد العالمي تحت رعاية «المنظمة الصهيونية العالمية» التي يُعتبر مؤتمرها العام أعلى سلطة لصنع القرار في تلك الحركة (يلتئم مرّة كل خمس سنوات) ويتولى تشكيل سياسات المؤسسات الإسرائيلية المسؤولة عن تمويل المشروع الاستيطاني المستمر في فلسطين والنهوض بالأولويات الاستراتيجية لدولة إسرائيل. وتتواجد اثنتان من تلك المؤسسات: «الوكالة اليهودية لإسرائيل» وفرع «مؤسسة كيرين هايزود» (المعني بجمع التبرعات للحركة الصهيونيّة) علناً في المملكة المتحدة. وتدعم المنظمة وتنسق بشكل وثيق مع اتحاد الطلبة اليهود في بريطانيا، وتلجأ أحياناً إلى القضاء لفرض توجهاتها.

ومن المعروف أنّ «اتحاد الطلبة

الدم، بقصفه للمؤسسات الإعلامية في غزّة، محاولة منه لتكبيل الصوت، واعتقاله لمكبّرات الصوت أو حتى البالونات (يبدو أن صدى «فقعتها» يخيفه) في حيّ الشيخ جراح، قد زاده عقاباً وجعله يفقد ذاكرته جيداً ويعرف كيف يخرق الصمت وجداره. يعلم أن أساس سماسرة القضايا ترداراها، بل نوع آخر منه، يحاكي العقل وليس العاطفة. قول واقعي فجّ، يجابه رأساً برأس، لغة المجازر والدّم التي يتقنها المحتل، والذي يتكئ على صمت الضمير وتواطئه، في محاوه الأدلة جراء صمته، أو بزجّه القامع مع المقموع في خانةٍ واحدة بينما يقف شاهداً محايداً، أو مناصراً خجولاً، كمتضامن عطوف «إنساني».

ضمير المتكلم هنا «أنا» صلبة ونبرته حادّة. لا يدافع بدافع الثار كفعل مؤجل، بل يذهب نحو «الإرتكاس»، بالمعنى النيتشوي، أي ضرب الحديد حامياً؛ أي فعل لحظوي إثر فعل تعرّض له للتوّ، ما يجعله مسيطراً على الحبكة، وغير مشروط بتبعاتها السلبية من ناحية الانزلاق أو التدحرج. المتكلم يتماهى مع كلامه، يحفظ الوجه الناعم الآخر، للغة العدو، لا يحيا بإغفال المجازر أو قطع معابر الخبز فحسب، إنما بخنق الكلمة أيضاً، كحالة من الحصار الأوفر حظاً، لموت رمزيّ يطاول المعتقد لا الجسد. من اعتقالات شنّتها عاصمة الأنوار بحق مناصري القضية الفلسطينية وصولاً الى منصات التواصل الاجتماعي التي تقمّصت دور الديكتاتور في منعها إظهار وقائع الهولوكوست الجديدة، من بث صور وفيديوهات لمجازر تستهدف أطفالاً ومسنّين، هي مجازر مقصودة بغاية قطع صيرورة الروح لشعب واحد من جيلين، لتضمحل الحكاية فتموت السردية، فيما تسمح لدعوات الإسرائيليين، لقتل العرب.

لا يعرف الإسرائيلي غير القتل ولو في المجاز. يتذرع بضرب «أهداف استراتيجية»، فيما استراتيجيته ليست سوى نسف ملامح الحاضر بأسره. خطة قتل متعمدة للذاكرة بغية خلق استلاب من نوع آخر، في غربة الأرض عن أرضها، إذ في قضائه على الراهن يخرّب الماضي، ليمتلك المستقبل في استحواذه على الحاضر. لكنّ صاحب اللسان الطليق في لغة الجريمة وسفك

> مهمة الطاغي، على حدّ قول إدموند بيرك، تكمن في «أن يخلف موطئ قدم في وعي العامة فيبقون صامتين»

الصمت حليفاً له.

ومردّ هذا هو نتيجة الحرف، العلّة الرابعة الصادحة، بالأحرى: الصاروخ كقول، كقوّة دفع جاهزة وفعل عنيد، في المجابهة حتى الرمق الأخير، وليصبح عندها القول العلني المنحاز لفلسطين اليوم «صاروخياً»: ملتهب وفتّاك ومقاوم للاحتلال اللفظي أولاً، وللوعي ثانياً، اللذين يراد تكبيلهما، صوتياً أو بالكلام، من خلال الصمت.

تراهم يحتشدون في الساحة ويطلقون بصوتٍ واحد شعار: «يا أبو عبيدة/ يا مغوار/ سمّعنا صوت الإنذار». ما الإنذار في الحالة هنا إلا استجابة، من مُرسل ملثم، يتناغم مع وسيطه العاري حتى الحرية، وهو القول ويعني الصاروخ، في مخاطبةٍ صاخبةٍ، تعادي الصمت ولو جاء على شكل هدنة. قواعد القول اليوم باتت مرئية ومسموعة ومتفجرة وتعرب بالشكل التالي: صاروخ فلسطين تنقل قضية فلسطين من الحيّز الإنساني إلى الحيّز السياسي. وبينما الحيز الأوّل مطّاط، قابل للتمييع ومطلوب في سوق السمسرة، يرسخ الحيّز الثاني طريق فلسطين ويضعها على بوصلة التحرير، بوطأته الموجعة للمُستلب الذي ينتهك الوعي ويتحكم بالضمير من جهةٍ، وفي إنعاشه ذاكرة الكفاح المسلح باعتباره رئة من رئتَي الهوية الفلسطينية من جهةٍ أخرى.

في البداية، لا يحتاج صاحب الأرض الى عدّة لتبرير وجوده، بيد أنّ الصاروخ اليوم هو وجود العلّة لمن يطلبها (أو طالب فيها): صخرةٌ سيزيف التي التأمت فيها حجارة الرجم، برميها المثقمون «القائلون» عن ظهرهم، فتمحو ذاكرة الطاغية.

العلّة الرابعة: الصاروخ كقول!

بوك مخلوف

الهوية الفلسطينية صناعة النضال المسلّح والذاكرة، لكنّ الثانية تسبق الأولى في التحفيز وإضفاء العلة عليها. شهداء فلسطين منذ النكبة خالدون كشخصيات هوميروس. ماتوا بظلالهم فيما وجودهم المادي، في أسمائهم وظروفهم والسياق، بقي حياً حاضراً. وفي الحاضر، فاستذكارهم واستكمال نضالهم، هو ما يُسمى ضميراً. إلا أن مهمة الطاغي، على حدّ قول إدموند بيرك تكمن في «أن يخلق موطئ قدم في وعي العامة فيبقون صامتين» لأن فرض الصمت- وهو عدوان مباشر- لا يعني فقط منع عدّة، منها: بدن، شهاب، وغيرهما من صواريخ محلية الصنع، وأصلية اللهجة، تاتي كقول بليغ، خالٍ من الاستعارات الإنشائية في أن يتحدث بلغته الفصيحة، وهي الجريمة وسفك الدم.

في مراجعة سريعة للأيام الفائتة، يمكن ردّ علّة الأحداث الراهنة، التي من خلالها بات الإسرائيلي حراً طليقاً في لغته، للخطاب الإقصائي للمستوطن الشنيع «يعقوب» في حيّ الشيخ جراح، وفي سلوكه الاعتباطي، باليومي والعفوي، كنموذج مصغر لكيان «ما بعد يعقوبي». لكن المعركة سرعان ما تحوّلت الى حرب بين قطبين، تتمثل في ضميرين مختلفين: أحدهما مستتر، متواطئ مع «يعقوب» أو يُترجم لغته بصمته المتعمد، وآخر وقد ظهر مُفاجئاً على بغتة، وهو ضمير المتكلم.

ولهذا المتكلم كلامٌ، يأخذ أسماء عدّة، منها: بدن، شهاب، وغيرهما معها، بل خَلْق الحاضر واستباحة المحتل، باستغلاله الفراغ الذي خلّفه «الضمير الصامت» وراءه، والشفهية الضخمة التي اعتاد ممارسة القضايا تراداها، بل نوع آخر منه، يحاكي العقل وليس العاطفة. قول واقعي فجّ، يجابه رأساً برأس، لغة المجازر والدّم التي يتقنها المحتل، والذي يتكئ على صمت الضمير وتواطئه، في محاوه الأدلة جراء صمته، او بزجّه القامع مع المقموع في خانةٍ واحدة بينما يقف شاهداً محايداً، أو مناصراً خجولاً، كمتضامن عطوف «إنساني».

ضمير المتكلم هنا «أنا» صلبة ونبرته حادّة. لا يدافع بدافع الثار كفعل مؤجل، بل يذهب نحو «الإرتكاس»، بالمعنى النيتشوي، أي ضرب الحديد حامياً؛ أي فعل لحظوي إثر فعل تعرّض له للتوّ، ما يجعله مسيطراً على الحبكة، وغير مشروط بتبعاتها السلبية من ناحية الانزلاق أو التدحرج. المتكلم يتماهى مع كلامه، يحفظ

«خماة القدس» للفنان صد الرحمن المزين في ملصق صادر عن «منظمة التحرير الفلسطينية» عام 1979 (مجموعة علي قرقف، أرشيف الملصق الفلسطيني الرقمي)

فلسطين تحطم الأسوار

الأرشيف أداة أساسيّة في النضال «رحلات فلسطينية»: قصص الصمود والمقاومة والأمَل (المغيَّبة)

مصطفى شلش

يُحاول مشروع «رحلات فلسطينية» المشترك بين «المتحف الفلسطيني» و«مؤسسة الدراسات الفلسطينية»، بالتعاون مع Visualizing Palestine، أن يلعب دور المؤرّخ الذي يركز على إنتاج رواية فلسطينيّة شاملة تُبرز الدور الفعّال الذي لعبه الفلسطينيّون في صنع تاريخهم. يسعى المشروع التاريخي جاهداً لاستحضار قصص المقاومة والصمود والأمل المغيّبة حالياً عن الرواية الفلسطينية المتداولة في المشهد العالمي.

وتشير آن لورا ستولر، التي تتناول كتابة التاريخ الاستعماري، إلى الإمكانات النقدية والمفاهيمية لتمكين سيولة المعرفة وفقاً لمفردات جديدة من الكلمات والمفاهيم. وفي مقال يركز على كتابة التاريخ الاستعماري في فرنسا، تناقش كيف تتشكل الفئات، وكيف يفصل فقدان القدرة على الكلام التشابه ويرفض الفئات القابلة للحياة. لذا، فالكتابة التاريخية «صوت نشط» لا يتعامل إلا جزئياً مع الماضي، ويسمح «للمستقبل التفاضلي» الذي يعيد تقييم الأشكال المرئية للعلاقات الاستعمارية.

تتكوّن منصّة «رحلات فلسطينية» الرقمية حالياً من قسمين: «المسرد الزمني» من إعداد «مؤسسة الدراسات الفلسطينية»، و«قصص» من إعداد «المتحف الفلسطيني». يضمّ المسرد الزمني مجموعة موسوعيّة متنامية من الأحداث التاريخية، والسير الذاتية، والجداول المختارة وأبرز المواضيع التاريخية والاجتماعية، والوسائط المتعددة. يهدف المشروع لتوفير مرجعيّة علميّة أساسية حول التاريخ الفلسطيني بكلّ جوانبه. وتلقي القصص ضوءاً على التجارب المهملة في تاريخ الشعب الفلسطيني، من خلال التقاط روايات مهمّشة ومنسيّة تخلط بين التاريخي والشخصي.

◄ المسرد الزمني: رواية تواجه رواية الاحتلال

إن تاريخ الهوية الوطنية الفلسطينية هو أحد الأمثلة على تعدد الروايات التاريخية، التي تُعتبر مضامينها ثقيلة بشكل خاص في السياق الفلسطيني. لا يقتصر الأمر على أن الفلسطينيين يشكلون مجموعة وطنية غالباً ما يكون وجودها موضع تساؤل من قبل الإنكار الصهيوني، هناك أيضاً تناقضات داخلية داخل الخطاب الفلسطيني نفسه. يرجع ذلك جزئياً إلى أن الخطاب انبثق من العمليات التاريخية التي غالباً ما كانت تهدف تحديداً إلى منع ظهوره، حيث لطالما تم تهميش تاريخ فلسطين وشعبها لمصلحة الرواية التاريخية الإسرائيلية السائدة.

يشير بناء الهوية الفلسطينية الحديثة إلى عدد من التحديات والتناقضات التي أنتجتها في وقت واحد وجعلتها غامضة. على سبيل المثال، كان الخطاب الفلسطيني في الستينيات في الأساس خطاباً قومياً عربياً نابعاً من الإيمان بوجود أمة عربية أكبر. في الوقت نفسه، جادلت بان الفلسطينيين يشكلون شعباً قومياً، من أجل مواجهة الخطاب الصهيوني الذي أصرّ على أن الفلسطينيين هم مجرد عرب يعيشون في فلسطين، وبالتالي يجب أن تستوعبهم أمة عربية أكبر. بعبارة أخرى، رفض الخطاب الفلسطيني حجة التشابه العربي لأن الصهيونية وظّفتها، وفي الوقت نفسه، دعا إلى شكل من أشكال القومية العربية. على أي حال، تجاوز الخطاب الفلسطيني والعربي بالفعل مأزق الستينيّات هذا.

اليوم، حتى أنصار القومية العربية المتحمسون يقبلون بوجود هويات عربية مختلفة، في حين يتم الاعتراف بالفلسطينيين بشكل عام من قبل المجتمع الدولي، وحتى من قبل إسرائيل، كشعب. ومع ذلك، بما أن مثل هذه التطورات سياسية في جوهرها، فهي لا تعني أن هناك اتفاقاً حول كيفية ظهور الهوية الفلسطينية الجماعية، أو طبيعتها وحدودها.

تُعتبر دراسة تاريخ الهوية من خلال قراءة الماضي - كما يعمد مشروع «رحلات فلسطينية» – مسألة ذات أهمية قصوى للفلسطينيين أنفسهم ليس فقط لأنها ضرورية للصراع مع الكيان الصهيوني. إنها مرتبطة بالطرق التي يعرّف بها الفلسطينيون أنفسهم ويتصوّرون مستقبلهم ويحددون حدود مجتمعهم السياسي الوطني.

ومثل كل رواية تاريخية، فإن بناء التاريخ الوطني الفلسطيني يبدأ بالخطة سياسية تمثل بداية الأمم. في حالة فلسطين، تبدأ نقطة التوثيق في «رحلات فلسطينية» من سطر واحد: «لاعثمانيّون يستولون على فلسطين ومناطق أخرى من بلاد الشام. يستمر حكمهم على فلسطين من دون انقطاع تقريباً حتى سنة 1917». ثم تسير الأحداث بقفزات في سطور قليلة إلى نقطة مركزية هي القرن العشرين من ضعف الإمبراطورية العثمانية، وظهور القومية العربية والتغلغل الثقافي والاقتصادي والسياسي الأوروبي. خلال النصف الأول من القرن العشرين، كُتب التاريخ الفلسطيني في سياق الصراع العربي واليهودي، في حدود فلسطين تحت الانتداب البريطاني، ثم بعد النكبة عام 1948، تم التفكير فيه في سياق الصراع العربي الإسرائيلي وكُتب في المنفى. تتميز فترة ما بعد عام 1948 بتشتت المثقفين الفلسطينيين الذين قاموا بتفصيل التاريخ من أماكن نفيهم، سواء كانوا قريبين (لبنان أو سوريا أو مصر أو العراق أو الأردن) أو بعيدين (أوروبا أو أميركا). على مدار سنوات المنفى، كانت مراحل بناء التاريخ الوطني الفلسطيني مطابقة لمراحل الصراع مع إسرائيل: حرب الأيام الستة عام 1967، وغزو لبنان عام 1982، وانتفاضة عام 1987، وانتفاضة عام 1993، وتوقيع اتفاقية أوسلو ونظيرتها بداية من عام 1993.

في الثمانينيات، بدأت عمليات جمع الشهادات والروايات حول عام 1948 من قبل الجامعات ومراكز البحوث والباحثين المستقلين والمنظمات غير الحكومية في الأراضي الفلسطينية وفي المنفى. ازدادت في التسعينيات حتى بلغت ذروتها في عام 1998 وهو عام الذكرى الخمسين للنكبة. وكان المشروع الأكثر طموحاً بقيادة «جامعة بيرزيت» تحت إشراف الجغرافي كمال عبد الفتاح وعالم الأنثروبولوجيا شريف كنعانة. في عام 1983، أنتجوا أول رسم خرائط للقرى المدمرة بناءً على الشهادات فيها، يضع الأساس لبناء قاعدة بيانات بديلة متعددة الطبقات، تختلف عن النظرة العالمية الأحادية الجانب التي تميزها.

يمكن لمشروع «رحلات فلسطينية» تقويض الهدف الأصلي للأرشيف من خلال عملية الدمقرطة. مع ذلك، بينما أدركت المنظمات المدنية والحكومية في جنوب أفريقيا أهمية إنشاء أرشيفات ما بعد الاستعمار (ما بعد الفصل العنصري)، يختلف الوضع مع الاحتلال الإسرائيلي حيث ما زال يمارس أكبر قوة ممكنة للإبقاء على الفلسطينيين على الهامش ويمنع متسعاً كبيراً من مصادرهم المعرفية المتعلقة بالوصول إلى الأرشيفات، عبر طرق «قانونية» وأخرى تصل إلى حد العنف الجسدي. لكن هذا لا يمكنه أن يقف أمام المحاولات المتواصلة لتفكيك بنية الأرشيف الاحتلالي واقتراح آليات بديلة للقراءة والتفسير والنقد.

سيلعب مشروع «رحلات فلسطينية» دوراً كبيراً في حل الإرباك الهوياتي الفلسطيني الناشئ بعد اتفاق أوسلو، حيث ظهر إطار شبه قانوني لتحديد من هو فلسطيني ومن ليس فلسطينياً، يدور حول أولئك الذين يعيشون حالياً في الضفة الغربية وقطاع غزة. مثل هذا الفصل سيجعل الدراسات المستقبلية للهوية الفلسطينية أكثر صعوبة لأنه يستبعد الفلسطينيين الذين لا يقيمون في هذه المناطق. يمكن لأرشيف «رحلات فلسطينية» كسر مركزية الخطاب في الضفة الغربية وغزة، والإبقاء على الخطاب الفلسطيني التاريخي، لأن أي حياد عن هذا الخطاب التاريخي يجعلنا أمام تحول اختزالي للفلسطينيين الذين عاشوا التجربة الفلسطينية من فلسطينيتهم مع الشتات، ويصوّرهم مرة أخرى كلاجئين، ولكن بشكل دائم تقريباً هذه المرة.

في الختام، الفلسطينيون يشكلون مجموعة وطنية لها حقوق سياسية ووطنية لا يجوز تجاهلها مهما اختلفت القراءات التاريخية. وقد تكون مسألة مدى شرعية الأمة وثيقة الصلة بالقانون الدولي، لذا يُلقي هذا العرض الموجز الضوء على أهمية الشهادة في التاريخ الفلسطيني. الروايات المسجلة - المحفوظات «الحية» - هي في صميم التاريخ الشفهي لذكرى النكبة، يتناسب التاريخ الفلسطيني المبني على هذه الشهادات مع روح النضال لمصلحة حفظ وإدامة ونقل ذاكرة شعب مشتّت في الشتات بتاريخه المشترك وتجاربه المختلفة.

فخلافاً للشعوب التي نالت استقلالها وأقامت دولها وتاريخها الوطني على الانتصار، يبني الفلسطينيون أنفسهم على هذه الهزيمة. وبسبب غياب الدولة، فإن ناقلات البناء ونقل التاريخ الوطني متعددة. ويتحول المؤرخون إلى فاعلين لهذا التجسيد للماضي. ويصبح تفسيره مطلباً للاعتراف بالتطهير العرقي ضد الفلسطينيين ونضالهم الشعبي المستمر من أجل الاعتراف التاريخي. اليوم، الشغل الشاغل للمؤرخين والباحثين الفلسطينيين هو جمع المصادر الفلسطينية حصرياً لإعادة بناء ماض مُنكر لفترة طويلة وغائب عن الرواية الإسرائيلية المهيمنة، مثل مشروع «رحلات فلسطينية» للحفاظ على التراث والمحفوظات الفلسطينية وتعزيزها.

paljourneys.org ∗

«بعلّة من الجامعة المصرية في ساحة الحرم القدسي الشريف» (1937). مجموعة سعيد الحسيني. أرشيف المتحف الفلسطيني (الرقمي)

طفل على سطح منزله في البلدة القديمة في القدس في الخمسينيات (مجموعة إميل عشراوي. أرشيف المتحف الفلسطيني (الرقمي)

بالكامل في عين العقل». بعبارة أخرى، السرد المقدم من «رحلات فلسطينية» يمكّن الفلسطينيين خصوصاً، والمؤرخين عموماً، من الاتفاق على أصول أمة. هنا بالتحديد هو أكثر ما يهمّ الفلسطينيين والعرب هو رواية الأمة، لأن التوثيق السردي لا يقدم رؤية معينة للماضي فحسب، بل يشكّل أيضاً الأساس الذي تنظر إليه الأمة إلى حاضرها ومستقبلها. من المهم إدراك الطابع المراوغ والمتناقض والمرن والمتغير للهويات الوطنية.

◄ الصورة في القصة: كسر عنف كاميرا الاحتلال

للصورة مكانها المميز في مشروع «رحلات فلسطينية»، حيث تعتمد القصص والتأريخات على تقديم بعض الصور المؤرشفة الجديدة على عين القارئ العربي وقد تكون على عين الفلسطيني أيضاً، ولك أن تتخيل موقف الغربي منها. لكن عند مناقشة تمثيل التاريخ الفلسطيني عبر الصورة، يجب التوقف عند عوامل عدة أبرزها:

في التاريخ البصري الفلسطيني، هناك العديد من الفصول المفقودة، حيث نُهب ودُمر وفُقد عدد لا يُحصى من الصور والأرشيفات المرئية خلال نكبة عام 1948 وما تلاها من حروب، وسقطت الثقافة والتاريخ الفلسطينيان ضحية للاحتلال. وعلى مدى العقدين الماضيين، عمل الباحثون الفلسطينيون والعرب على استكمال أجزاء من هذه الخسارة المادية، وهيكلة التاريخ الفلسطيني. ومع ذلك، يتم تخزين العديد من الفصول المفقودة وإخفاؤها في الأرشيفات الإسرائيلية التي تسمح بوصول محدود للباحثين الفلسطينيين والعرب، وإلى حد ما، للباحثين الإسرائيليين الناقدين.

نشاط الأرشيف الاحتلالي تجاه الآخرين، بمن فيهم الفلسطينيون، يتضمن في كثير من الأحيان نوعين من العنف:

العنف الجسدي الموثق: هذا هو الجانب المرئي للعنف الموجه ضد السكان الفلسطينيين، وهو موجود في أرشيفات التصوير المؤسسي للاحتلال. ويشمل، على سبيل المثال، سرقة الأراضي والاستيلاء عليها، والنفي، والأحكام العرفية والنظام العسكري. ويعتمد النقاش حول الجوانب المرئية للعنف في مختلف المشاريع إلى حد كبير، على كتاب والتر بنجامين «نقد العنف»، الذي يحلل العنف والسلطة التي تمارسها السلطة الحاكمة بموجب القانون.

وعلى ذكر القانون، فهو يعطل الأرشفة المصورة لمشروع مثل «رحلات فلسطينية»، إذ يميّز القانون الدولي بين نهب الأفراد (المدنيين أو الجنود) لأغراض شخصية (في كثير من الحالات تُعامل على أنها «تذكارات» مأخوذة من ساحة المعركة أو منطقة الحرب) والاستيلاء عليها من قبل القوات الرسمية المنظمة. فالاستيلاء، أو أخذ غنائم الحرب، يتعلق بالممتلكات التي تم الاستيلاء عليها من الأفراد والمؤسسات العامة في إطار الأنشطة العسكرية الرسمية للدولة بطريقة مخططة وواعية. أي أن نهب الممتلكات الثقافية من قبل الأفراد في مناطق النزاع المسلح، هو الاستيلاء العنيف وغير المصرح به على الممتلكات العامة أو الخاصة لتحقيق مكاسب شخصية، سواء كانت هذه الممتلكات مملوكة للأفراد أو المجتمعات أو الدولة مثل نهب ممتلكات الجنود القتلى في ساحة المعركة، والممتلكات التي تعكس «الهوية الخاصة للجندي كإنسان»، وهذا أيضاً يشكل نهباً للمقتنيات الثقافية والتاريخية الشخصية. القوانين الدولية تحظر النهب في كل من المناطق المحتلة وغير المحتلة في المناطق التي تتشكك فيها النزاعات المسلحة. ومع ذلك، فإن هذه القوانين عموماً لا تفعل أكثر من الحظر. على سبيل المثال، لا يوجد، بخلاف التعريف القانوني، أي عقوبات خاصة بأعمال النهب في حالة انتهاك هذا الحظر.

هذا ما يجعلنا أمام «عنف وظيفي» متأصل في الهياكل الأرشيفية. هذا العنف متأصل ومترسخ في هيكل وعمليات الأرشيف لآلة الاستيطانية للكيان الصهيوني وفي أفعالها المادية والمؤسساتية. إن سلطة الاحتلال المطبقة وهيكلها، الخفيين عادة، هما جزء لا يتجزأ من الآليات المؤسسية القائمة على الجوانب الإيديولوجية والقمعية. ويتم التعبير عنها في تشكيل المحفوظات وطريقة عملها، وكذلك في أدائها الأخلاقي (أهدافها ومعاييرها الأساسية). وفي القوانين والقواعد التي تنظم أنشطة التجميع والحفظ والأرشفة والتوزيع. وعادة ما يكون هذا النوع من العنف جوهرياً وغير ظاهر، ويفرض ما يجب توثيقه وجمعه، وما يجب بقاؤه سراً، على الرغم من أنه يتم تغليفه أحياناً بجوانب مرئية للعنف الجسدي، مثل النهب والغنائم، المذكورة أعلاه. هذه الجوانب الأخلاقية والوظيفية مراوغة تماماً وجوانبها العدوانية مموّهة بشكل عام. لذا فإن الحاجة إلى نشرها في الوعي العام تتطلب بحثاً دائماً عن المادة المؤرشفة والمعرفة كما يحاول أن يفعل مشروع «رحلات فلسطينية». يحاول الأخير أن يعكس الانتهاك المباشر وغير المباشر لحقوق الإنسان عبر المواد العسكرية والأمنية في الأرشيفات الإسرائيلية المتعلقة بالفلسطينيين إلى حد كبير. ونشأ الانتهاك المباشر لحقوق الإنسان بشكل رئيسي من مجموعة متنوعة من الأنشطة التي كان هدفها جمع المعلومات الاستخبارية للأغراض العسكرية والعملياتية، ومعظمها يعتمد على العملية المزدوجة لعلاقات القوة: من ناحية، الطريقة التي تستخدمها الوحدات والأرشيفات العسكرية لجمع المعلومات (الغنائم والنهب والنسخ السري والمحظور لمواد من أرشيفات أخرى، وجمع المعلومات الاستخبارية بوسائل مختلفة...)، ومن ناحية أخرى، ممارسات إدارة المحفوظات يعرض مواد معينة للجمهور (الرقابة والقيود على المعاينة). ويشمل الجانب غير المباشر لانتهاكات حقوق الإنسان، على سبيل المثال، إنكار الوجود الفلسطيني. يمكن تصنيف هذا أيضاً على أنه عنف وظيفي. ينعكس ذلك في الطريقة التي عملت بها الهيئات المدنية قبل إعلان دولة إسرائيل، مثل «الصندوق القومي اليهودي» و«صندوق المؤسسة الوطنية»، للترويج للدعاية الصهيونية في البلاد وخارجها، واستبعاد الكيان الفلسطيني من المعجم الإقليمي، وحذف وجوده في أي مكان عام.

كانت هذه الهيئات تعمل على بناء تبرير أخلاقي للاستيطان اليهودي، واصفةً الأرض بأنها فارغة ومدمرة ومهجورة، والاستيطان الصهيوني هو عمل لاسترداد الأرض. كان الهدف من تجاهل السكان الفلسطينيين وحياتهم الاقتصادية والتعليمية والثقافية الثرية خدمة لأهداف التسويق للاحتلال الصهيوني، واشتمل على استخدام القوة.

تفتح سجلات «رحلات فلسطينية» بشكل أساسي السجال حول هذا النوع من العنف المتأصل في الأرشيف، وبدرجة أقل العنف الصريح والموثّق. ففي عملية تحليل المواد المستردّة والمعروضة على المشروع حول الفلسطينيين والمعلومات التي جُمعت عن الفلسطينيين في أرشيفات التصوير الفوتوغرافي، تُصادف نوعين مختلفين من البيانات: المعلومات المباشرة، والمعلومات التي يجب استخراجها من الأرشيف الاحتلالي، وترتبط فئة هذه المعلومات، إلى حد ما، بنوع العنف المتضمن في جمع هذه المواد: يحاول «رحلات فلسطينية» فهرسة الكثير من المعلومات حول الفلسطينيين المخزنة في أرشيفات الصور الفوتوغرافية، مصحوبة بنصوص وشرحها، مع عملية عكسية لما قامت به الصهيونية التي استهدفت بقصصها طمس السياق الفلسطيني. عبر القصص المنسية والشخصية والسياق التاريخي، يحاول المشروع تفكيك رموز المعاني المتناقضة التي يمكن قراءتها في الأرشيف لتمثيل المجتمعات الفلسطينية النازحة، وإبرازها مرة أخرى بعدما غابت عن أرشيف الصور الصهيونية المرتبط بـ «الصندوق القومي اليهودي» أو بمكتب رئيس وزراء الكيان، حيث يتم التعتيم على صور وقصص القرى التي فرّ سكانها أو طُردوا في نكبة عام 1948، ومنعتهم الدولة اليهودية من العودة إلى منازلهم، وترسيخ حضور المهاجرين اليهود الذين وصلوا في موجات الهجرة الهائلة بين عامي 1948-1950، وتقديمهم كـ «سكان» لمعظم هذه القرى. مع العلم أن الجيش الإسرائيلي دمّر بعض هذه القرى تماماً بهدف منع عودة الفلسطينيين، ومحوهم من الخريطة ومن الوعي العام وإبعادهم عن الذاكرة.

يمكن اعتبار الصور التي يقدمها «رحلات فلسطينية» وما على شاكلته من مشاريع، توثق الاستيطان اليهودي في القرى الفلسطينية، الدليل الوحيد المتبقي على هذه المجتمعات، بعد لحظات من حيازتها المادية والقانونية، وقبل أن تفقد هويتها الفلسطينية وتصبح إسرائيلية. على الرغم من نفي السكان الأصليين (اعتبرتهم دولة الاحتلال غائبين - حاضرين ولا يوجد سجل للعنف الجسدي الذي تم استخدامه ضدهم)، تُظهر العديد من الصور قرى ومنازل وحقولاً بأكملها، ما يجعل من الممكن تكشّف ما قمعته الذاكرة الجمعية الإسرائيلية: المأساة التي يعيشها الشعب الفلسطيني. على مر السنين، غيّرت هذه القرى هيكلها وشخصيتها وهويتها. في المناطق التي انتقلت فيها الأراضي الفلسطينية إلى أيدي اليهود، بدأت أساليب الزراعة والمحاصيل والبنية الريفية للقرى تتغير. المنظر الطبيعي المميز للأرض الزراعية الفلسطينية ابتلعته خصائص الاستيطان الزراعي اليهودي.

وتظهر الصور والتركيز على القرية في مشروع «رحلات فلسطينية»، استيعاب المهاجرين اليهود في الدولة الجديدة على أنقاض الكيان الفلسطيني. وبالتالي، فإن لها ميزتين اثنتين وجغرافيتين مختلفتين، كلّها تخلق واقعاً جديداً: من ناحية، القرية الفلسطينية بتميزها وأسلوبها، وطرق فلاحة الأرض، ورمز الكيان الفلسطيني المفقود، ومن ناحية أخرى، المستوطنون الجدد، منخرطون في الأنشطة اليومية التي ترمز إلى

> يشير دريدا إلى العنف كواحدة من السمات الرئيسية المتأصلة في الأرشيف، حيث تجسد المعلومات الحكومية/ علاقات القوة

الحياة المُعسكرة للمستوطنات اليهودية.

صوت المقهور ليس غائباً تماماً. هكذا يحاول أن يقدم مشروع «رحلات فلسطينية» نفسه، ويكون عملاً أرشيفياً مضاداً ومواجهاً لأرشيف الكيان المُحتَلّ، فإمكانية سماع الأصوات الفلسطينية التي تبدو مفقودة من الأرشيف، وتحرير الأرشيفات الوطنية من قيودها، وبناء ذاكرة مستقلة وتاريخ الاستيطانية وتوفير منصة للأصوات الفلسطينية وإعادة موادها) هي الخطوات الأولى في إنشاء أرشيفات وطنية بديلة لرواية فلسطينية خالصة.

مع تطور التقنيات الجديدة، وضعت العديد من المؤسسات الفلسطينية التاريخية مقابلات مسجلة ومصورة على الإنترنت وأرشيفات تاريخية مثل الأفلام أو الصور أو الرسوم التوضيحية. وتم نسخ هذه المبادرة، وقادت عدة عمليات لجمع ذكريات وأحداث نكبة عام 1948 في الأراضي الفلسطينية وفي المنفى، وبعضها تشرف عليه منظمات غير حكومية (بديل، شمل، ARCPA...)، والبعض الآخر تشرف عليه مراكز بحثية (معهد دراسات القدس، مؤسسة الدراسات الفلسطينية). وتُنشر هذه القصص باللغات العربية والعبرية والإنكليزية في الكتب والصحف والفيديوهات وعلى الإنترنت. في الوقت نفسه، يتم إنتاج العديد من الدراسات في المنفى، وفي مخيمات اللاجئين، التي تهدف إلى دمج الماضي ورسم خرائطه وتضمينه من خلال السرديات الشفهية.

على مرّ السنين، يُقيد الاستبداد الصهيوني أنشطة أرشيف التصوير الفوتوغرافي المؤسسي في فلسطين، وتحكم علاقات القوة التي يخضع لها الفلسطينيون دورهم في التاريخ أو في كتابته. يشير دريدا إلى العنف كواحدة من السمات الرئيسية المتأصلة في الأرشيف، حيث تجسد المعلومات الحكومية/ علاقات القوة. وتتكثف هذه العلاقات العدوانية في بلد يعيش تحت الاحتلال، وشعب يعيش في صراع وجودي، على سبيل المثال، في الطريقة التي تتحكم بها المحفوظات المؤسسية الإسرائيلية بكل الكنوز الوطنية للمهزومين الفلسطينيين ومعرفة تاريخهم وثقافتهم. إن الإشارة إلى الآليات العلنية والسرية في هذه المحفوظات المؤسسية من خلال كشف التحيز الاحتلالي المتأصل

بيوت قرية بيت صفافا في القدس (1959). مجموعة مصطفى علمات. أرشيف المتحف الفلسطيني (الرقمي)

عمال يقومون بإصلاح سكة الحديد الواصلة بين القدس واللد، عام 1938 (مجموعة وليد الزين. أرشيف المتحف الفلسطيني الرقمي)

اللد - عمال يقومون بإصلاح سكة الحديد الوصلة بين القدس واللد عام ١٩٣٨م

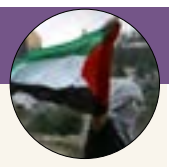

فلسطين تحطم الأسوار

يوميات حرب الوعي

زكريا محمد *

أدناه بعض ما كتبته على حائطي في الفيسبوك خلال «حرب أيار»، أو حرب «سيف القدس». لم يكن لديّ ما أفعله في الحرب سوى المشاركة في التظاهرات وكتابة ما يشبه اليوميات السياسية لكي أعي أنا ذاتي ما يجري، ثم كي أحصّن هذه الذات بالوعي الذي أحصله. بعد ذلك، كنت أرمي لمحات الوعي هذه على حائطي، علّ أحداً يفيد منها. لم أستطع أن أجد لنفسي مهمة غير هذه المهمة في الحرب. أن أبحث عن شعاع وعي، وأن أرسله في بوست حين أحصل عليه.

كي لا نعود من جديد إلى نقطة الصفر

أفترض أنّ المعركة العسكرية في غزة ستنتهي خلال أيام قليلة، ما لم يحصل ما هو خارج الحسبان.

وهي ستنتهي كما في الجولات السابقة بتعادل ما. أي أنه لن يكون هناك منتصر أو مهزوم. بالطبع، خسائرنا أضعاف مضاعفة لخسائر العدو. لكنّ المعادلة ذاتها. لم يحقق العدو ما كان يطمح إليه: لم يكسر إرادتنا، ولم يكسر بنيتنا. فوق ذلك، فإنه صار بالإمكان تكبيله بشأن القدس والاستيطان في الضفة إن لم تتدخل بشكل ضعيف وجبان سلطة رام الله.

لكنّ الأهم، والأعظم، هو أن حرب أيار، حرب سيف القدس، حرب الشيخ جراح والأقصى، استعادت الوعي واستعادت الوحدة، واستعادت إرادة القتال في الضفة الغربية ومناطق 48. وانطلاقاً من هذا، ستتشكل موازين قوى جديدة في الضفة. سيطرة المستسلمين الذين يبحثون عن زيادة ملايينهم في البنوك ستتقلّص، ويجب أن تتقلص. وأساليبهم الاستسلامية في مواجهة الاستيطان والضم وهدم البيوت ستتغير. سيفرض الناس أساليب أخرى، وطرائق أخرى.

بمعنى آخر، سيتوقف القتال في غزة، لكنه لن يتوقف في الضفة. فلندع غزة تلملم جراحها، وتستريح قليلاً، لكن فلنترك الضفة تواصل المعركة بشكل ما، ضد المستوطنين والاستيطان، وضد نهب الأرض، وضد سلطة الاستسلام معاً.

وأهم شيء هو عدم ترك الأمور للسلطة. عدم تركها لـ«أبو مازن». إن تركنا الأمور له، سيخرّب أي انتصار صغير أو كبير حصلنا عليه، وسنعود إلى نقطة الصفر. الناس الذين تدخلوا في الحرب، رغم السلطة، ورغم إرادتها، يجب أن يظلوا يقظين وأن يواصلوا تحركهم. وتوقف النار في غزة لا يعني أنّ علينا مغادرة الشوارع...

لا يجب ترك الأمور للسلطة الميتة. فهي ستعيدنا إلى حالة الموات وانعدام الوعي من جديد. يعني: يجب أن تكون هناك سلطات أخرى تأخذ بيدها أمر المواجهة، إلى أن يحلّ أمر تغيير هذه السلطة أو إصلاحها بشكل جذري. سيأتي المبعوثون الأميركيون للتفاوض، وسيفاوضون الموتى في السلطة، وسيبدو الأمر كما لو أننا عدنا إلى نقطة الصفر. لا يجب السماح بهذا. من يقاوم هو الذي يفاوض. يجب خلق حقائق سياسية على الأرض لمنع العودة إلى نقطة الصفر، كما حصل في المواجهات السابقة. يجب أن يصير المقاومون هم المفاوضين.

وأنا أقترح تشكيل «هيئة للدفاع الوطني» من كل الأجسام والمجموعات التي خاضت المعركة في الضفة. مهمة هذه الهيئة مواجهة الاستيطان والمستوطنين، مواجهة الاستيلاء على الأراضي، مواجهة الاعتقالات، مواجهة الاعتداءات في الأقصى وفي القدس عموماً.

باختصار، يجب أن تنشأ ازدواجية سلطة ما على الأرض. سلطة الناس والمقاومين في مقابل سلطة المستسلمين، إلى أن يجري تبديل السلطة أو تغييرها بإجماع وطني.

أن يتوقف القتال في غزة، لا يعني أن نذهب إلى النوم. هذا لا ينفع. سوف تضيع التضحيات إن فعلنا هذا. وأول شيء هو أن لا نضع الأمور بين يدَيْ «أبو مازن» من جديد. يجب أن يتمسّك المقاومون بما تم إنجازه. لا يجب أن يُخلوا الميدان لمن يستعد للانقضاض عليهم وعلى ما أنجزوه.

الحرب على غزة توشك أن تنتهي. لكن حرب كفّ يد المستسلمين عن الشأن الوطني ستكون قد بدأت. فإرادة الشعب المقاومة يجب أن تكون هي السلطة. ولا عودة هذه المرة إلى نقطة الصفر.

(2021/5/19)

■■■

افعل ما عليك فعله، ولا تنتظر نتيجة المعركة. ما عليك فعله يجب أن تفعله، أياً كانت نتيجة المعركة.

النصر هو أن تفعل ما عليك فعله. والهزيمة هي أن لا تفعله.

نتيجة المعركة تحددها أنت أيضاً، بل أنت أولاً. أنت المحارب الفعلي.

إذا صعدت جبلاً عالياً شديد الانحدار، فلا تتطلع كل دقيقة إلى القمة. هذا سيحبطك لأن القمة بعيدة جداً بعد. لذا تطلع إلى الخطوات الخمس أمامك واقطعها. المهم أن تقطع الخطوات الخمس، ثم الخطوات الخمس التي بعدها، وهكذا. هذه هي الحرب، حربك.

الحرب سياسة. ويمكن لشعب ما أن يخسر عسكرياً، وأن يخرج مع ذلك منتصراً سياسياً.

الحرب هي أنت. هي ما تفعله، لا ما يفعله الآخرون.

(2021/5/18)

■■■

حتى لو توقف إطلاق النار في غزة فلن نتوقف

لقد بدأت مرحلة جديدة في تاريخ الشعب الفلسطيني. مرحلة تتوحّد فيها حركته، ويتوحد فيها مطلبه بكل فلسطين. مرحلة سوف تنهي «أبو مازن» وأوسلو وسلطته. مرحلة يُخلَق فيها ممثل واحد جديد للشعب الفلسطيني كله، يطرح مطالب هذا الشعب أمام العالم.

انتهى زمن الضفة والقدس وغزة و 48. هناك الآن شعب واحد، وحركة واحدة، ومطالب واحدة، وسعي لتكوين قيادة موحدة للحركة الواحدة الموحّدة.

حتى لو توقف إطلاق النار في غزة، فلن نتوقف. لقد انطلق قطار وحدة الشعب ووحدة حركته ولن يتوقف حتى يصل إلى محطته الأخيرة، حيث تتحد أهداف الشعب ومطالبه.

وحتى لو خرج العدو منتصراً عسكرياً في غزة، فسوف يكتشف أنه خرج مهزوماً سياسياً، وأنها ستكون الهزيمة الأقسى في تاريخه.

شاركوا غداً في إضراب فلسطين التاريخية.

غداً فجر جديد لفلسطين الواحدة الموحدة.

(2021/5/17)

■■■

حرب الوعي

تبدو حرب أيار 2021 من الجانب الفلسطيني كما لو أنها حرب وعي أكثر منها أي شيء آخر. بالتالي، فهي حرب جذرية، وليست حدثاً تكتيكياً عارضاً. ذلك أنّ الوعي يكمن في جذور الأشياء، ويقع فيها. إنها حركة الجذور ذاتها.

وحرب الوعي هذه تدور على محورين اثنين:

الأول: حرب استعادة الوعي

فقد جرى خلال العقود الماضية تشويه الوعي الفلسطيني (والعربي) بخصوص الصراع. ومنذ اتفاق أوسلو على الأخص، بدا لو أنّ الوعي الفلسطيني يفقد ذاته. فقد جرى عند من يفترض أنهم قيادة الشعب التسليم بأننا هزمنا، وأن مهمتنا تتمثل في الحصول على ما يمكن الحصول عليه. لهذا، فمنذ اليوم الأول لوصول «أبو مازن» إلى سدة الحكم، أعلن قوله الشهير: لا أريد لأحد حتى أن يرمي زهرة على الإسرائيليين. نعم، الرمي ممنوع حتى لو كان رمي زهرة. الرمي ممنوع. أي: المواجهة ممنوعة. نحن لا نستطيع المواجهة، كما أن المواجهة لن تنفع. الصواريخ عبثية، والمواجهة عبثية، والأمل عبثي، والوعي عبثي.

هذا أدى إلى أنه لم تبذل أي محاولة من قبل مَن يفترض أنهم يمثلون الشعب لبناء الحصون العقلية والمادية. وكان هجوم الأعداء يتركز، على الأخص، على الحصون العقلية. أي على المناهج المدرسية. وكنا في كل مرة نتراجع ونقدم التنازلات. وكان الهجوم مرتبطاً بالمساعدات الغربية التي تقدم المساعدات المالية للسلطة. المساعدات تأتي مشروطة بتغييرات في المناهج، أي بفتح ثغرات في الحصون العقلية، في الجذور.

حرب أيار 2021 كانت حرباً للتمسك بالجذور، لسد الثغرات، لاستعادة الوعي. فهذه الأرض لنا، وهم مستعمرون طارئون، ويجب مواجهتهم في كل لحظة وعلى كل قطعة أرض. ويمكن لي أن أقول إنّ الوعي قد استعيد إلى حد كبير. دليل ذلك أن مَن رفض الرمي معزول الآن في غرفة في المقاطعة، ولا أحد يكترث به. عزله رمز لاستعادة الوعي. وحين يعزل الوعي جهة ما، أحداً ما، فهو عزل الموت. إنه رمي في القبر. لقد رمي الوعي المشوش والمستسلم في القبر.

الثاني: حرب كيّ الوعي

الحرب الأولى ذات طابع دفاعي. وقد نجحنا فيها. ونتائجها سوف تتعمق يوماً بعد يوم. أما حرب كيّ الوعي، فهي حرب هجومية. و«كيّ الوعي» اصطلاح مستخدم بشدة عند الصهاينة. إنه اصطلاحهم المركزي في مواجهتنا. كل فعل من أفعالهم يهدف لكيّ وعينا، أي لوضع حدود له. أي عملياً يهدف إلى إنتاج أناس فلسطينيين جرى كيّ وعيهم وخصيُه. وقد نجحوا منذ أوسلو في إنتاج أناس فلسطينيين مخصيّي الوعي. أناس يُمنع الرمي عندهم. بل إنهم مُكِّنوا من قيادة الشعب الفلسطيني. وتذكروا أن مَن فرض «أبو مازن» هو جورج بوش الابن. لذا فلدينا قيادة مكويّة الوعي. وعيها تحدد إسرائيل حدوده.

حرب أيار كانت حربَ كيّ وعي مضادةً. الصواريخ والتظاهرات والبالونات والشعارات كلها كانت متجهة إلى العدو كيْ يفهم أنه طارئ هنا، وأنه بلا مستقبل في هذه الأرض. ويمكن رؤية نتائج هذه الحرب في الصرخات المتفرقة التي تظهر لديهم: ليس لنا مستقبل هنا. لقد انتقلنا من محاولة منع قلع أهل الشيخ جراح من منازلهم، إلى بثّ فكرة اقتلاعهم هم. من الدفاع إلى الهجوم. أنتم من ستُقتلعون لأنه ليس لديكم جذور هنا.

لذا لا يمكن لوم المواجهين في غزة على تصعيد لهجتهم. يجب تصعيد اللهجة. يجب أن يفهموا أننا نريد أن نقتلعهم، وأننا سنقتلعهم. نحن لسنا مساكين يبحثون عن دولة تأتيهم بالعطف، بل شعب يعمل لقلعكم. ونحن في هذا لسنا ضيعة قليلة. بل نحن ضيعة كبيرة بالعالم العربي حولنا. والعالم العربي النائم سيصحو. لقد جرى كيّ وعيه مثلنا منذ اتفاقية كامب ديفيد. وحرب أيار، والحروب التي قبلها، تهدف إلى استعادة الوعي. وهو سيستعاد وإن ببطء.

عليهم أن يفهموا أنّ الحل المطروح أمامهم هو حل الدولة الواحدة مع عودة اللاجئين إلى أرضهم وعودة ملكيتهم. ويجب أن يفهموا أننا نقدم هذا كحل وسط، وأننا نقدمه ونحن كارهون. وإن لم يرغبوا فيه، فهناك الطريق الجزائرية. فالمستوطنون الفرنسيون في الجزائر كانوا يظنون أن الجزائر لهم، وأنها دولتهم، ثم انتهى الأمر إلى كنسهم.

(2021/5/16)

■■■

البدوي والجمل و«فتح»

اسمعني، أنا أقرب إلى «فتح» منّي إلى «حماس» بألف مرة، فأنا ابن منظمة التحرير.

لذا فأنا أشتري «فتح». أشتريها راغباً. لكنني وعشرات الألوف من أمثالي لن يشتروا «فتح» مع «أبو مازن» وجماعته. نحن نشتري «فتح»، ولا نشتري هذه الجماعة. «فتح» أهلنا. «فتح» بيتنا. لكن هذا شيء والجماعة شيء آخر. اسمعني، اسمعني. أتذكر حكاية البدوي الذي أراد أن يبيع جمله مع القط. ربطهما معاً ودار كي يبيعهما. لكنّ أحداً لم يتقدم كي يشتريهما معاً. الناس يريدون الجمل، ولا يريدون القط.

ونحن أيضاً نشتري «فتح»، نشتري الجمل الكبير الذي يدعى فتح. لكننا لن نشتريه مربوطاً مع جماعة لا نريدها. وعلى فتح أن تختار. عليها أن تقرر. فهي لا تستطيع أن تبيعنا جملها بالطريقة التي تريدها هي. عليها أن تتفق معنا على صفقة.

فتح ضرورة لنا. ضرورة للتوازن في فلسطين. ضرورة بتاريخها. ضرورة بخبرتها. ضرورة بوطنيتها. ونحن نريد الجمل الكبير الذي يدعى «فتح». نريد أن نشتريه... لكننا لن نقبل بصفقة مثل صفقة البدوي.

قدّموا لنا صفقة أخرى يا أخي. اسمعوا صوتنا يا أخي.

تغيّروا، وغيّروا، كي تتم الصفقة.

(2021/5/15)

■■■

غزة مُدماة، بقلب يمتلئ بالأمل

عملياً، لم تعد حرب إسرائيل على غزة ذات معنى. لم يعد هناك هدف لها. آخر محاولة كانت في شمال غزة، عندما أوحى الجيش الإسرائيلي بهجوم بري لكي يصطاد المقاومة. لكن المحاولة أُحبطت لأن الطرف الفلسطيني أدرك مقصدها. كان نتنياهو يعتقد أن نجاح هذه المحاولة سيمكنه من النزول عن الشجرة منتصراً. لكن هذا لم يحدث. وهذا يعني أن هذه الحرب ستنتهي كما انتهت الحرب السابقة عام 2014 من دون حسم.

حرب من دون حسم مرة أخرى.

لكن عليَّ أن أقول إن التشابه ظاهري فقط.

وبمقدوري أن أضيف أنه سيكون هناك منتصر ومهزوم. ففي الحساب الأخير، ستغرق غزة، كما في المرة السابقة، في محاولاتها لمداواة جراحها وإعادة بناء ما تهدّم. هذا ليس جديداً. لكن الجديد أن إسرائيل ستخرج من الحرب وهي تواجه عالماً آخر غير العالم الذي عرفته قبل الحرب. فالسلطة الفلسطينية ربما تنتهي. وأبو مازن ربما يطير. فوق ذلك، فستجد أن الشعب الفلسطيني الذي كان مقسماً ممزقاً قد توحّد. هذا أولاً.

أما ثانياً، فأغلب الظن أن الفوضى ستعم المشهد السياسي الإسرائيلي بكامله. فلم يعد بإمكان إسرائيل أن تتحمل نتائج حرب أخرى من دون حسم، حرب متعادلة. الحرب المتعادلة تعني أن إسرائيل فقدت نهائياً إمكانية الانتصار. وهذا شيء مخيف. الانتصار الإسرائيلي ممنوع. هذا هو الدرس الذي قدّمته غزة.

أكثر من ذلك، فقد صارت تل أبيب تُقصف مثلها مثل غزة. درجة القصف وشدته تختلفان فقط. كما أن «مطار بن غوريون» (مطار اللد) صار هدفاً دائماً للقصف. وهذا شيء مخيف آخر.

غزة ستخرج من الحرب مدماة، لكن بقلب يمتلئ بالأمل.

أما إسرائيل فستخرج منها بقلب مثقل، وبأفق من دون أمل.

إذن، فهناك منتصر ومهزوم في حرب أيار 2021.

(2021/5/15)

■■■

نهاية حلّ الدولتين

انتهت فكرة حل الدولتين. أنهتها إسرائيل بمعرفة وتصميم. وانتهت معها السلطة الفلسطينية وأبو مازن، وكل العدة التي يملكها.

الآن هناك أرض يقتتل عليها شعبان- مع أنني لا أوافق أن يهود إسرائيل يمثلون شعباً- تمتد من نهر الأردن إلى البحر المتوسط.

التشويش الذي مثله البرنامج المرحلي، الذي صار اسمه حل الدولتين، انتهى. هذا البرنامج كان نتاج حرب أكتوبر. فإثر هذه الحرب، ظن السوفيات أنه يمكن إيجاد حل سلمي يقود إلى دولتين، فطرحوا الفكرة، التي تحولت عند الفلسطينيين إلى ما يسمى بالبرنامج المرحلي، ثم صار اسمها حل الدولتين. طبعاً ثبت أن السوفيات واهمون، وأن موازين القوى لا تسمح بذلك. أما نحن فقد تمسكنا بالوهم حتى الآن. حتى أيار 2021. لم يكن لدينا قيادة تعي. كان لدينا الاختراع العجيب الذي يسمى «أبو مازن». وهو اختراع له عقل إيديولوجي متحجّر غير قادر على الإدراك. لديه مسلمة تقوم على أن السلطة الفلسطينية هي أول الدنيا وآخرها. هذا رجل يعبد شيئاً يسمى السلطة الفلسطينية. يعبدها من دون الله، ومن دون أي معبود آخر.

كل هذا انتهى. أنهته معركة الشيخ جراح. انتهى البرنامج المرحلي، انتهت السلطة، انتهى أبو مازن. وقد تكون «فتح» ومنظمة التحرير انتهتا أيضاً.

هناك عالم جديد سيُخلَق بعد معركة أيار 2021. هناك بنية جديدة ستظهر. هناك توازنات أخرى ستظهر.

أيار 2021 سفر تكوين جديد لعالم جديد. عالم مختلف عن العالم الذي عشناه مع «أبو مازن». بل عالم مختلف جذرياً عن العالم الذي عرفناه منذ عام 1974.

بالتدريج سيُدفن العالم الذي يختصره شخص اسمه أبو مازن، وسيخرج عالم جديد ملامحه ليست واضحة لنا بعد. لكنه عالم مختلف. عالم يُدفن، وعالم ينهض.

وفي هذا العالم، شعبان يقتتلان على أرض بين النهر والبحر. واحد منهما دخل مرحلة انحداره وموته، والثاني دخل مرحلة صعوده وبعثه.

لا يمكن لأي مشروع «فرنجة» أن يملك فرصة هنا. لا يمكن له أن يستمر.

كل مشروع «فرنجة» سيأتيه في يوم ما طراز من صلاح الدين لكي ينهيه.

* شاعر فلسطيني